

دار سبيل الله

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ (صدق الله العظيم)

التَّحْذِيرُ مِنَ الْمُجَازَفَةِ بِالتَّكْفِيرِ

تأليفُ

السَّيِّدُ مُحَمَّدِ بنِ عَلَوِيٍّ الْمَالِكِيِّ الْحَسَنِيِّ

عَرْض وَتَقْدِيم الدُّكْتُور :

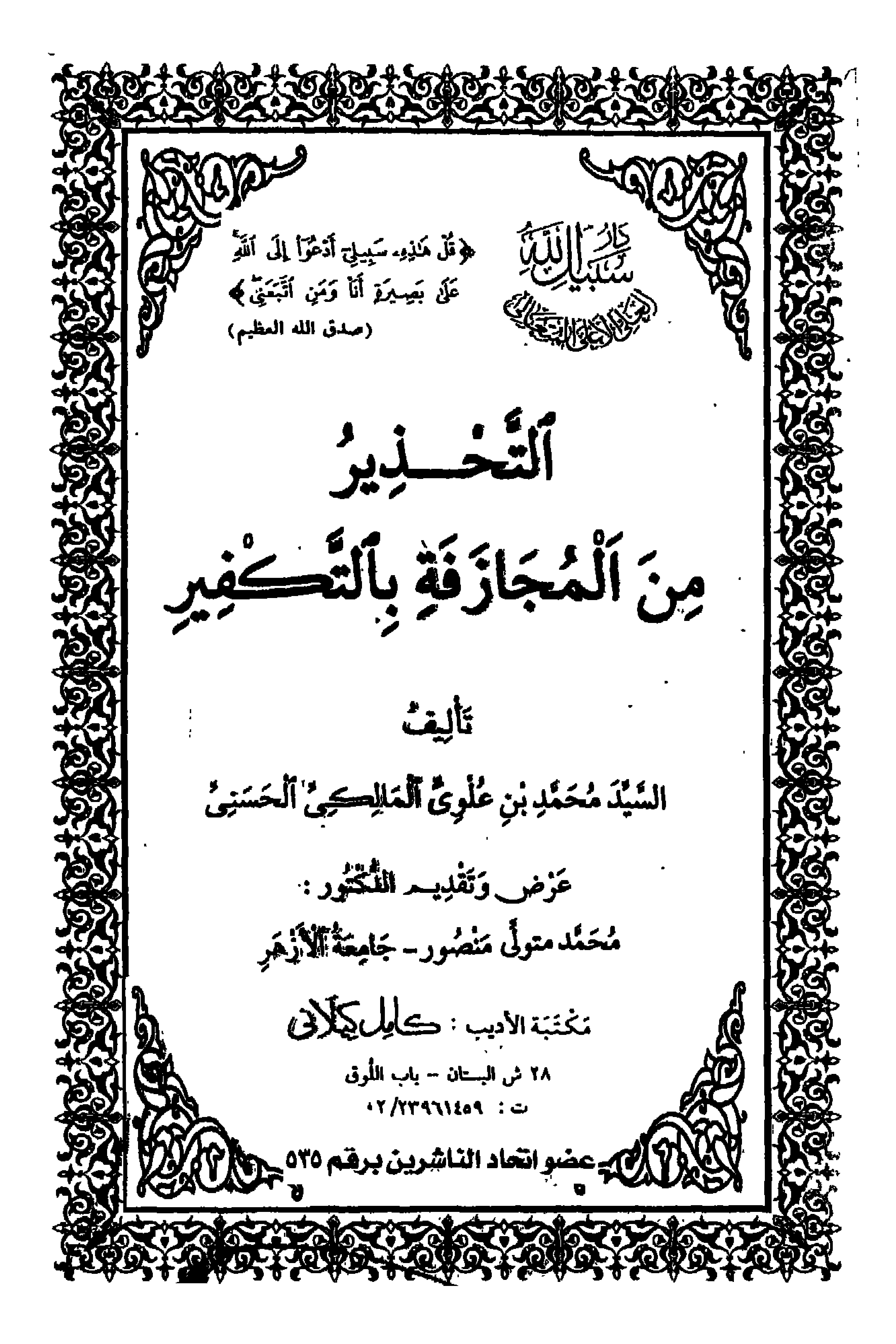
مُحَمَّد متولي مَنْصُور - جَامِعَةُ الأَزْهَرِ

مكتبة الأديب: كامل كيلاني

٢٨ شارع البستان باب اللوق

ت : ٠٢/٢٣٩٦١٤٥٩

عضو اتحاد الناشرين برقم ٥٣٥



دار سبيل الله

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾

(صدق الله العظيم)

التحذير من المجازفة بالتكفير

تأليف

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني

عرض وتقديم الدكتور :

محمد متولي منصور - جامعة الأزهر

مكتبة الأديب : كامل كيلاني

٢٨ ش البستان - باب اللوق

ت : ٠٢/٢٣٩٦١٤٥٩

عضو اتحاد الناشرين برقم ٥٣٥

رقم الإيداع
بدار الكتب المصرية
٧٥٨٣ / ٢٠٠٦

مَطْبَعَةُ الْكِيلانِيّ
٢٢ ش الأديب كامل كيلانى - باب الخلق
ت : ٢٣٩١٨٥٩٨ - ٢٣٩٥١٥٤٣/ ٠٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى أَنْعَمَ عَلَيْنا بِنِعْمَةِ ٱلْإِسْلامِ وَكَفَىٰ بِها نِعْمَةً،
وَٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ عَلَىٰ سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنانَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ
- صَلَّى ٱللَّهُ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ -
ٱلَّذِى أَرْسَلَهُ رَبُّهُ بِٱلْحَنِيفِيَّةِ ٱلسَّمْحَةِ،
لَيْلُها كَنَهارِها، لا يَزِيغُ عَنْها إِلَّا هالِكٌ.
ٱللَّهُمَّ: صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ
ٱلْفاتِحِ لِما أُغْلِقَ، وَٱلْخاتِمِ لِما سَبَقَ، ناصِرِ ٱلْحَقِّ بِٱلْحَقِّ،
وَٱلْهادِى إِلَىٰ صِراطِكَ ٱلْمُسْتَقِيمِ،
وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدارِهِ ٱلْعَظِيمِ.
وَبَعْدُ ... فَنَحْنُ نَعِيشُ فِى عَصْرٍ كَثُرَتْ فِيهِ ٱلْفِتَنُ،
وَعَمَّتِ ٱلْبَلْوَىٰ...
وَلا شَكَّ أَنَّ ٱلْإِبْتِلاءَ وَٱلْإِيمانَ قَرِينانِ،
لا يَنْفَكُّ أَحَدُهُما عَنِ ٱلْآخَرِ، يَقُولُ - سُبْحانَهُ - :
﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ
فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [ٱلْعَنكَبُوتِ].

وَيَقُولُ ٱلرَّسُولُ ﷺ : « ... أَقْبَلَتِ ٱلْفِتَنُ كَقِطَعِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ، يَتْبَعُ آخِرُها أَوَّلَها .. ٱلْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ ٱلْأُولَىٰ » .

وَبَعْضُ ٱلْفِتَنِ قَدْ يَكُونُ أَهْوَنَ مِنْ بَعْضٍ،

لٰكِنَّ ٱلْفِتْنَةَ ٱلْكُبْرَىٰ، وَٱلطَّامَّةَ ٱلْعُظْمَىٰ هِيَ : (فِتْنَةُ ٱلطَّعْنِ فِي ٱلْعُلَماءِ، وَتَوَزُّعِ ٱنْتِسابِ شَبابِ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ ٱلْمُسْلِمَةِ إِلَىٰ فِرَقٍ وَشِيَعٍ وَأَحْزابٍ، وَتَبادُلِ ٱلِاتِّهاماتِ فِيما بَيْنَهُمْ، وَرَمْيِهِمُ ٱلْعُلَماءَ، وَكُلَّ مَنْ خالَفَهُمْ فِي فِكْرِهِمْ - إِنْ كانَ لَهُمْ فِكْرٌ - ، وَفِي مَنْهَجِهِمْ - إِنْ كانَ لَهُمْ مَنْهَجٌ - بِٱلْفِسْقِ وَالِابْتِداعِ وَٱلْكُفْرِ) .

وَهٰذا كُلُّهُ دَلِيلٌ عَلَىٰ عَدَمِ فَهْمِهِمْ لِحَقِيقَةِ هٰذا ٱلدِّينِ، وَعَدَمِ بَصَرِهِمْ بِواقِعِهِ وَأَساسِهِ ٱلْمَتِينِ . .

وَإِذا كُنَّا نَعْلَمُ - مِنْ تارِيخِ ٱلْإِسْلامِ ٱلنَّاصِعِ - أَنَّ ٱلْأَئِمَّةَ ٱلْمُجْتَهِدِينَ، وَٱلْفُقَهاءَ ٱلْمُبَرِّزِينَ، كانُوا يَخْتَلِفُونَ؛ فَإِنَّهُمْ ما كانُوا يَخْتَلِفُونَ - أَبَدًا - فِي ٱلْأُصُولِ، وَإِنَّما ٱخْتِلافاتُهُمْ - دائِمًا - كانَتْ فِي ٱلْفُرُوعِ؛ وَمِنْ هُنا كانَ ٱخْتِلافُهُمْ رَحْمَةً .

أَمَّا ٱلْمُخْتَلِفُونَ مِنْ شَبابِ ٱلْأُمَّةِ ٱلْآنَ،

فَإِنَّ ٱخْتِلافاتِهِمْ شَقاءٌ وَنِقْمَةٌ؛ فَهُمْ شَبابٌ يَدَّعُونَ ٱلعِلْمَ،

لٰكِنَّ ٱلعِلْمَ مِنْهُمْ بَراءٌ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُمْ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ ناقِصًا؛

فَقَدْ عَرَفُوا شَيْئًا، وَقَدْ غابَتْ عَنْهُمْ أَشْياءُ!..

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عِلْمُهُمْ جامِدًا مُتَحَجِّرًا، لا يَقْبَلُ رَأْىَ ٱلْآخَرِ؛

بَلْ يَنْغَلِقُ عَلَىٰ فِكْرِهِ هُوَ، وَرَأْيِهِ هُوَ!..

فَكانَتْ نَظْرَتُهُمْ إِلَى ٱلْحَياةِ نَظْرَةً ناقِصَةً، أَوْ نَظْرَةً جامِدَةً؛

فَراحُوا يَكِيلُونَ ٱلتُّهَمَ جُزافًا لِأَفْرادِ ٱلْأُمَّةِ،

بَلْ لِخاصَّتِها وَلِعُلَمائِها!..

وَتِلْكَ فِتْنَةٌ يَسْتَثْمِرُها أَعْداءُ ٱلْإِسْلامِ ضِدَّنا؛ حَتَّىٰ أَصْبَحَ

- نَتِيجَةً لِأَفْكارِ هٰؤُلاءِ - ٱلْإِسْلامُ مَقْرُونًا بِٱلْإِرْهابِ!..

وَغَدا ٱلْمُسْلِمُ - فِى نَظَرِ ٱلْآخَرِينَ - مُجْرِمًا يَقْتُلُ ٱلْآخَرِينَ،

وَيَسْفِكُ دِماءَهُمْ، وَيُخَرِّبُ دُورَهُمْ، وَيُدَمِّرُ مُمْتَلَكاتِهِمْ،

وَيُرَوِّعُ ٱلْآمِنِينَ، وَيَقُضُّ مَضْجَعَ ٱلْمُسْتَقِرِّينَ ٱلهادِئِينَ!..

لٰكِنَّ ٱلْحَقِيقَةَ ٱلَّتِى غابَتْ عَنْ هٰؤُلاءِ أَنَّ ٱلْإِسْلامَ هُوَ:

دِينُ ٱلْأَمْنِ وَٱلسَّلامِ، وَٱلرَّحْمَةِ ٱلعالِيَةِ..

وَكُلُّ مَنْ يَرْتَكِبُ جُرْمًا، أَوْ يُفَزِّعُ آمِنًا، أَوْ يُكَفِّرُ مُؤْمِنًا، أَوْ يُفَسِّقُهُ، أَوْ يُبَدِّعُهُ؛ فَإِنَّهُ لا يَعْرِفُ عَنِ ٱلْإِسْلامِ إِلَّا ٱسْمَهُ، وَلا يُحَقِّقُ مِنْهُ إِلَّا رَسْمَهُ!..

وَلَقَدْ جَدَّ عُلَماءُ ٱلْأُمَّةِ فِى كَشْفِ زَيْفِ بَعْضِ ٱلشَّبابِ
ٱلَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ ٱلْحَماقاتِ بِٱسْمِ ٱلْإِسْلامِ،
وَٱلَّذِينَ يَعْتَبِرُونَ أَنْفُسَهُمُ ٱلذَّائِدِينَ عَنْ حِياضِهِ،
ٱلْمُدافِعِينَ عَنْ جَنابِهِ؛
فَأَطْلَقُوا لِأَلْسِنَتِهِمُ ٱلْعَنانَ،
يُوَزِّعُونَ ٱلتُّهَمَ عَلَىٰ عُلَماءِ ٱلْأُمَّةِ،
فَيُكَفِّرُونَ وَيُبَدِّعُونَ وَيُفَسِّقُونَ... أَقُولُ:
قَيَّضَ ٱللَّهُ لِلْأُمَّةِ رِجالًا أَفْذاذًا، وَعُلَماءَ أَجِلَّاءَ،
يُجَلُّونَ ٱلْحَقِيقَةَ، وَيُوَقِّفُونَ هٰؤُلاءِ عِنْدَ حَدِّهِمْ،
وَيُبَيِّنُونَ لَهُمُ ٱلْحَقَّ مِنَ ٱلْباطِلِ، وَٱلصَّوابَ مِنَ ٱلْخَطَإِ..
وَمِنْ بَيْنِهِمُ ٱلْعالِمُ ٱلْعَلَّامَةُ
ٱلشَّيْخُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَوِىٍّ ٱلْمالِكِىُّ ٱلْحَسَنِىُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ،
ٱلَّذِى عاشَ حَياتَهُ مُدافِعًا عَنْ هٰذا ٱلدِّينِ،
رادًّا عَلَىٰ شُبُهاتِ ٱلْمُبْطِلِينَ، وَٱفْتِراءاتِ ٱلْمُكَذِّبِينَ.

وَكانَ مِنْ بَيْنِ ٱهْتِماماتِهِ :

إِصْدارُ سِلْسِلَةِ إِيضاحِ مَفاهِيمِ ٱلسُّنَّةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ٱلْمُطَهَّرَةِ . .

وَمِنْ بَيْنِها : هٰذا ٱلْكِتابُ ٱلَّذِى بَيْنَ أَيْدِينا ،

وَٱلَّذِى سَمّاهُ « ٱلتَّحْذِيرُ مِنَ ٱلْمُجازَفَةِ بِالتَّكْفِيرِ » . .

وَهُوَ كِتابٌ عَلَى ٱلرَّغْمِ مِنْ صِغَرِ حَجْمِهِ ،

إِلَّا أَنَّهُ يَحْوِى دُرَرًا مِنَ ٱلْفَوائِدِ ، وَغُرَرًا مِنَ ٱلْقَصائِدِ ،

ٱلَّتِى نَحْنُ فِى مَسِيسِ ٱلْحاجَةِ إِلَيْها فِى هٰذا ٱلْعَصْرِ

ٱلَّذِى تَلاطَمَتْ فِيهِ ٱلْأَمْواجُ ، وَٱخْتَلَطَتْ فِيهِ ٱلْأَوْراقُ ،

وَأَصْبَحَ ٱلدِّينُ ٱلْإِسْلامِىُّ فِيهِ كَلَأً مُباحًا لِلْجَمِيعِ ؛

فَهٰذا يَعْتَبِرُ ٱلْإِسْلامَ مَقْصُورًا عَلَى ٱللِّحْيَةِ وَٱلثَّوْبِ ٱلْقَصِيرِ ! . .

وَذاكَ يَعْتَبِرُ ٱلْإِسْلامَ مَقْصُورًا عَلَىٰ مَبِيتٍ فِى ٱلْمَساجِدِ ،

وَصَوْمٍ وَصَلاةٍ ، وَخُرُوجٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ عِدَّةَ أَيّامٍ ! . .

وَآخَرُ يَعْتَبِرُ ٱلْإِسْلامَ مَقْصُورًا عَلَى ٱلْجِهادِ بِمَفْهُومِهِ هُوَ ؛

فَراحَ يَتَّخِذُ مِنَ ٱلْإِرْهابِ وَٱلتَّفْجِيراتِ وَٱلْإِجْرامِ مَبْدَأً لَهُ وَدَيْدَنًا ! . .

وَآخَرُونَ يَعْتَبِرُونَ ٱلْإِسْلامَ مَقْصُورًا عَلَىٰ حَلَقاتِ ذِكْرٍ ،

وَزِيارَةٍ لِوَلِىٍّ ، وَتَمَسُّحٍ بِٱلْقِبابِ ،

وَتَقْبِيلٍ لِلْأَعْتابِ ، وَسُؤالٍ لِلْمَوْتَىٰ ! . .

وَهٰذا يَدَّعِي أَنَّهُ سَلَفِيٌّ ، وَذاكَ يَدَّعِي أَنَّهُ صُوفِيٌّ ! . .

هٰذا يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ أَنْصارِ ٱلسُّنَّةِ ،

وَذاكَ يَدَّعِي أَنَّهُ بِشِعارِ : « ٱلْإِسْلامُ هُوَ ٱلحَلُّ »

سَيَقْضِي عَلَىٰ كُلِّ ٱلْمُشْكِلاتِ ،

وَأَنَّهُ ٱلْوَحِيدُ ٱلْجَدِيرُ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِٱسْمِ ٱلْإِسْلامِ !..

فِرَقٌ شَتَّىٰ ، وَطَرائِقُ قِدَدٌ ، وَشُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ ،

وَجُهَلاءُ يُعانِدُونَ ! . .

وَٱلْإِسْلامُ ٱلْحَقِيقِيُّ حائِرٌ يَتَساءَلُ :

أَيْنَ أَنا مِنْ كُلِّ هٰؤُلاءِ ؟!

وَٱلْإِجابَةُ ٱلْحَقِيقِيَّةُ وَٱلْحَقُّ ٱلصُّراحُ :

أَنَّ كُلَّ هٰؤُلاءِ – وَأَشْباهَهُمْ –

إِنَّما يَدْعُونَ إِلَىٰ مَنْهَجِهِمْ هُمُ :

ٱلْمَنْهَجِ ٱلَّذِي يَخْدِمُ تَوَجُّهاتِهِمْ ، وَيُحَقِّقُ لَهُمْ مَآرِبَهُمْ ،

وَيُلَبِّي لَهُمْ رَغَباتِهِمْ ، وَيُشْبِعُ مَطامِعَهُمْ ،

لٰكِنَّهُمْ لا يَدْعُونَ إِلَىٰ مَنْهَجِ ٱلْإِسْلامِ ! . .

وَلَقَدْ رَكَّزَ ٱلْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ ،
وَأَجْزَلَ لَهُ ٱلْمَثُوبَةَ ، وَغَفَرَ لَنا وَلَهُ -
هُنا عَلَىٰ قَضِيَّةِ « ٱلتَّكْفِيرِ » ٱلَّتِى ٱنْتَشَرَتْ مِنْ قِبَلِ أَغْرارٍ جُهَلاءَ ،
ٱتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا ،
فَكُلُّ مَنْ خالَفَهُمْ فِى رَأْيٍ ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُشارِكْهُمْ فِى أَفْكارِهِمْ ،
يَعُدُّونَهُ إِمَّا مُبْتَدِعًا ، وَإِمَّا فاسِقًا ، وَإِمَّا كافِرًا ! . .
وَحُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ ، وَأَدِلَّتُهُمْ واهِنَةٌ ! . .
وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّكَ تَراهُمْ يَنْسُبُونَ أَقْوالَهُمْ إِلَىٰ أَئِمَّةٍ أَعْلامٍ ،
لَهُمْ فِى ٱلْعِلْمِ قَدَمٌ راسِخَةٌ ،
وَفِى خِدْمَةِ ٱلْإِسْلامِ جُهُودٌ واضِحَةٌ ! . .
وَكانَ ٱلْمُؤَلِّفُ ﷺ مَوْضُوعِيًّا ؛
فَذَكَرَ لَنا فِى مُواجَهَةِ ٱلْمُكَفِّرِينَ وَٱلْمُفَسِّقِينَ وَٱلْمُبَدِّعِينَ
آراءَ ٱلْعُلَماءِ ٱلَّذِينَ يَدَّعِى هٰؤُلاءِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِقَوْلِهِمْ ،
وَيَصْدُرُونَ فِى أَحْكامِهِمْ عَنْ آرائِهِمْ .
فَلَقَدْ ذَكَرَ مَوْقِفَ ٱلْإِمامَيْنِ ٱبْنِ تَيْمِيَّةَ ، وَٱلشَّوْكانِىِّ
مِنْ هٰذِهِ ٱلْقَضِيَّةِ ٱلْخَطِيرَةِ ، وَهُما يَسُوقانِ فِى - ذٰلِكَ -
ما ثَبَتَ مِنَ ٱلْأَحادِيثِ ٱلصَّحِيحَةِ ٱلْمَرْوِيَّةِ
مِنْ طَرِيقِ جَماعَةٍ مِنَ ٱلصَّحابَةِ أَنَّ :

(مَنْ قالَ لِأَخِيهِ : « يا كافِرُ » ، فَقَدْ باءَ بِها أَحَدُهُما) .

هٰكَذا فِي ٱلصَّحِيحِ ،

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ فِي ٱلصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِما :

(مَنْ دَعا رَجُلًا بِٱلْكُفْرِ ، أَوْ قالَ : « عَدُوَّ ٱللَّهِ » ،

وَلَيْسَ كَذٰلِكَ ، إِلَّا صارَ عَلَيْهِ) ؛ أَيْ : رَجَعَ .

وَفِي لَفْظٍ فِي ٱلصَّحِيحِ : « فَقَدْ كَفَرَ أَحَدُهُما » .

وَقَدْ قالَ ٱللَّهُ : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ

إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ

وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا

فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل] .

وَكَذٰلِكَ وَقَفَ ٱلشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْوَهَّابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مِنْ قَضِيَّةِ ٱلتَّكْفِيرِ مَوْقِفًا عَظِيمًا

قَدْ يَسْتَنْكِرُهُ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ ،

مَحْسُوبٌ عَلَيْهِ . .

وَذٰلِكَ فِي رَدِّهِ عَلَىٰ رِسالَةِ سُلَيْمانَ بْنِ سُحَيْمٍ ، حِينَ قالَ :

« قَوْلُهُ : [أَيْ : سُلَيْمانَ بْنِ سُحَيْمٍ] :

(إِنِّي مُبْطِلٌ كُتُبَ ٱلْمَذاهِبِ ٱلْأَرْبَعَةِ ! . .

وَإِنِّى أَقُولُ : إِنَّ ٱلنَّاسَ مِنْ سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ لَيْسُوا عَلَىٰ شَىْءٍ ! . .

وَإِنِّى أَدَّعِى ٱلِٱجْتِهادَ ! . .

وَإِنِّى خارِجٌ عَنِ ٱلتَّقْلِيدِ ! . .

وَإِنِّى أَقُولُ : إِنَّ ٱخْتِلافَ ٱلْعُلَماءِ نِقْمَةٌ ! . .

وَإِنِّى أُكَفِّرُ مَنْ تَوَسَّلَ بِٱلصَّالِحِينَ ! . .

وَإِنِّى أُكَفِّرُ ٱلْبُوصِيرِىَّ ؛ لِقَوْلِهِ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ :

« يا أَكْرَمَ ٱلْخَلْقِ . . . » ! . .

وَإِنِّى أَقُولُ : لَوْ أَقْدِرُ عَلَىٰ هَدْمِ قُبَّةِ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ لَهَدَمْتُها . .

وَلَوْ أَقْدِرُ عَلَى ٱلْكَعْبَةِ لَأَخَذْتُ مِيزابَها ،

وَجَعَلْتُ لَها مِيزابًا مِنْ خَشَبٍ . .

وَإِنِّى أُحَرِّمُ زِيارَةَ قَبْرِ ٱلنَّبِىِّ ﷺ ! . .

وَإِنِّى أُنْكِرُ زِيارَةَ قَبْرِ ٱلْوالِدَيْنِ وَغَيْرِهِما ! . .

وَإِنِّى أُكَفِّرُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ ٱللَّهِ ! . .

وَإِنِّى أُكَفِّرُ ٱبْنَ ٱلْفارِضِ وَٱبْنَ عَرَبِىٍّ ! . .

وَإِنِّى أُحْرِقُ « دَلائِلَ ٱلْخَيْراتِ » ، وَ « رَوْضَ ٱلرَّياحِينِ » ،

وَأُسَمِّيهِ « رَوْضَ ٱلشَّياطِينِ » » .

ثُمَّ يَقُولُ ٱلشَّيْخُ - مُتَبَرِّئًا مِنْ كُلِّ هٰذا ٱلَّذِى نُسِبَ إِلَيْهِ - :

« جَوابِى عَنْ هٰذِهِ ٱلْمَسائِلِ أَنْ أَقُولَ :

﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [النُّور] »

وَيُؤَكِّدُ ٱلشَّيْخُ بَراءَتَهُ مِنْ كُلِّ هٰذِهِ ٱلِٱدِّعاءاتِ

فِى رِسالَةٍ أَرْسَلَها ٱلْإِمامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْوَهَّابِ

إِلَى ٱلسُّوَيْدِىِّ - عالِمٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْعِراقِ -

تَتَضَمَّنُ مِثْلَ هٰذِهِ ٱلِٱفْتِراءاتِ ٱلَّتِى سُقْناها قَبْلًا . .

فَما قَوْلُكُمْ - بَعْدَ هٰذا - يا مَنْ تَدَّعُونَ

أَنَّكُمْ سَلَفِيُّونَ وَهَّابِيُّونَ ؟

كَذٰلِكَ أَوْرَدَ ٱلشَّيْخُ ٱلمالِكِىُّ بَيانًا مُهِمًّا

عَلَى لِسانِ ٱلشَّيْخِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ بْنِ بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ٱلَّذِى كانَ مُفْتِيًا لِلْمَمْلَكَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ ٱلسُّعُودِيَّةِ ،

وَٱلرَّئِيسَ ٱلْعامَّ لِإِدارَةِ ٱلْبُحُوثِ ٱلْعِلْمِيَّةِ وَٱلْإِفْتاءِ ،

ٱلَّذِى شَنَّ فِيهِ حَمْلَةً شَعْواءَ عَلَى هٰؤُلاءِ ٱلْمُكَفِّرِينَ . .

وَأَكَّدَ ذٰلِكَ بِتَحْذِيرِهِ أَشَدَّ ٱلتَّحْذِيرِ

مِنَ ٱلْمُبادَرَةِ إِلَى ٱلتَّكْفِيرِ وَٱلتَّشْهِيرِ ، وَأَوْرَدَ قَوْلَهُ تَعالَى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ

وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ . . . ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النَّحل] .

ثُمَّ دَلَفَ ٱلشَّيْخُ ٱلمالِكِيُّ - غَفَرَ ٱللَّهُ لَنا وَلَهُ -
إِلَىٰ حَدِيثِ فَضِيلَةِ ٱلدُّكْتُورِ صالِحِ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ حُمَيْدٍ
إِمامِ وَخَطِيبِ ٱلمَسْجِدِ ٱلحَرامِ، ٱلمَعْرُوفِ بِعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ
وَٱتِّزانِهِ وَإِتْقانِهِ، ٱلَّذِى كَتَبَ عَنْ « أَدَبِ ٱلخِلافِ »،
وَقالَ : « إِنَّ حَقَّ ٱلنَّقْدِ لا يَجْعَلُ ٱلحَقَّ حِكْرًا عَلَى ٱلنَّاقِدِ »،
وَقالَ : « إِنَّ سُوءَ ٱلأَدَبِ فِى ٱلجَدَلِ وَٱلمُناظَرَةِ
يُسَوِّغُ لِأَصْحابِهِ ٱسْتِغْلالَ أَعْراضِ ٱلمُسْلِمِينَ،
وَلا سِيَّما ٱلعُلَماءِ وَٱلدُّعاةِ؛ فَيَتَحَوَّلُ ٱلِاهْتِمامُ
إِلَىٰ تَتَبُّعِ ٱلزَّلَّاتِ، وَتَلَمُّسِ ٱلعَثَراتِ؛ فَيُتَّبَعُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلظَّنِّ،
مِنْ أَجْلِ أَنَّ قَلِيلَهُ كانَ صَوابًا ! . . »
وَقالَ فَضِيلَتُهُ : « فَكُلُّ عالِمٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ،
وَفَرْقٌ بَيْنَ نَقْدِ عالِمٍ مِنْ عُلَماءِ ٱلمُسْلِمِينَ
لَهُ باعٌ فِى ٱلعِلْمِ وَٱلدَّعْوَةِ، وَأَثَرٌ حَسَنٌ عَلَى ٱلأُمَّةِ،
وَبَيْنَ ٱلرَّدِّ عَلَىٰ مُلْحِدٍ مُتَجَنٍّ، أَوْ كافِرٍ مُغْرِضٍ،
أَوْ مُسْتَشْرِقٍ حاقِدٍ ».
ثُمَّ أَكَّدَ ٱلشَّيْخُ ذٰلِكَ فِى خُطْبَةِ ٱلجُمُعَةِ بِتارِيخِ
٢٨ مِنْ جُمادَىٰ ٱلآخِرَةِ ١٤١٢ هـ، بِٱلمَسْجِدِ ٱلحَرامِ،

مُحَذِّرًا مِنَ ٱلْخِلافِ وَٱلشِّقاقِ، وَمِنْ هٰذِهِ ٱلْفِتْنَةِ ٱلْهَوْجاءِ !..

وَها هُوَ ذا يَقُولُ : « إِنَّ ٱلِاخْتِلافَ فِى وِجْهاتِ ٱلنَّظَرِ

- بِذاتِهِ - لا يُثِيرُ نِزاعًا، وَلا يُوَلِّدُ تَنافُرًا.

وَلٰكِنَّ صاحِبَ ٱلْهَوَىٰ، وَٱلْمُعْجَبَ بِنَفْسِهِ،

يَجْعَلُ ٱلْحَقَّ فِى كِفَّةٍ، وَنَفْسَهُ ٱلْمَخْذُولَةَ فِى كِفَّةٍ !..

إِنَّ ٱلْخِلافَ ٱلْعِلْمِىَّ لا يُثِيرُ حَفائِظَ ٱلنُّفُوسِ

وَمَكْنُوناتِ ٱلصُّدُورِ إِلَّا عِنْدَ مَنْ قَلَّ فِى دِينِ ٱللَّهِ فِقْهُهُ،

وَضَعُفَتْ تَرْبِيَتُهُ، وَساءَ قَصْدُهُ، وَخَبُثَتْ نِيَّتُهُ !..

أَمَّا ٱلْعُلَماءُ ٱلرَّاسِخُونَ، وَٱلدُّعاةُ ٱلصَّادِقُونَ،

وَٱلْكُتَّابُ ٱلْمُخْلِصُونَ، فَأُولٰئِكَ عَنْ هٰذا مُبْعَدُونَ ».

وَيُدافِعُ ٱلشَّيْخُ ٱلْمالِكِىُّ عَنِ ٱلْمَمْلَكَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ ٱلسُّعُودِيَّةِ،

وَأَنَّها لَيْسَتْ مَصْدَرًا لِلتَّكْفِيرِ، أَوِ ٱلْهُجُومِ وَٱلتَّجْرِيحِ.

وَحَقًّا ما قالَ ؛ فَٱلْمَمْلَكَةُ هِىَ دَوْلَةُ ٱلْعَقِيدَةِ

ٱلسَّلَفِيَّةِ ٱلصَّحِيحَةِ ٱلَّتِى قامَتْ بِها، وَعَلَيْها ..

وَها هُمْ أُولاءِ رُمُوزُ عُلَمائِها، وَذِرْوَةُ مُفَكِّرِيها، وَأَقْطابِها،

يَتَبَرَّءُونَ مِنْ كُلِّ مَنْ يَهْرِفُ بِما لا يَعْرِفُ فِى أُمُورِ ٱلدِّينِ،

وَفِى أَساسِ ٱلْعَقِيدَةِ ٱلْإِسْلامِيَّةِ ٱلنَّاصِعَةِ.

ثُمَّ ٱنْتَقَلَ بِنا ٱلشَّيْخُ ٱلمالِكِيُّ - فِي مُؤَلَّفِهِ ٱلْقَيِّمِ هٰذا - إِلَىٰ رَأْيِ فَضِيلَةِ ٱلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صالِحٍ ٱلْعُثَيْمِينِ - حَفِظَهُ ٱللَّهُ، وَغَفَرَ لَنا وَلَهُ - حَيْثُ ذَكَرَ فَضِيلَتُهُ ٱلتَّحْذِيرَ مِنْ ٱلِٱنْحِرافِ وَراءَ ٱلتَّيَّاراتِ ٱلْفاسِدَةِ ٱلَّتِي تُخالِفُ ٱلشَّرْعَ ٱلْحَنِيفَ..

وَحَذَّرَ كُلَّ مُسْلِمٍ مِنَ ٱلْوُقُوعِ فِي هٰذا ٱلدَّاءِ ٱلْعُضالِ؛ وَهُوَ داءُ ٱلتَّكْفِيرِ..

وَقَدْ ساقَ ٱلْأَدِلَّةَ مِنَ ٱلْكِتابِ وَٱلسُّنَّةِ، مُوَضِّحًا أَنَّ مَنْ حَكَمَ عَلَىٰ إِنْسانٍ بِٱلْكُفْرِ، وَهُوَ لَيْسَ كَذٰلِكَ، فَيَكُونُ هُوَ ٱلْكافِرَ، وَٱلْعِياذُ بِاللَّهِ..

كَما شَدَّدَ عَلَى ٱلنَّهْيِ عَنْ تَكْفِيرِ ٱلْحُكَّامِ وَٱلْعُلَماءِ.

لٰكِنْ ما ٱلْمِيزانُ ٱلَّذِي يَحْتَكِمُ إِلَيْهِ ٱلْمُسْلِمُ ٱلْفاقِهُ، وَٱلدَّاعِيَةُ ٱلْحَصِيفُ، فِي وَسَطِ هٰذا ٱلْجَوِّ ٱلْمُتَلاطِمِ مِنَ ٱلْأَفْكارِ ٱلْمُنْحَرِفَةِ، وَٱلْآراءِ ٱلْفاسِدَةِ ؟!..

إِنَّ ٱلْمِيزانَ - كَما يَقُولُ ٱلشَّيْخُ - هُوَ « مِيزانُ ٱلْإِيمانِ »..

وَيَنْقُلُ ٱلشَّيْخُ ما قالَهُ ٱلْعَلَّامَةُ ٱلدَّاعِي إِلَى ٱللَّهِ ٱلْإِمامُ ٱلسَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ مَشْهُورٍ ٱلْحَدَّادُ :

« وَقَدِ ٱنْعَقَدَ ٱلْإِجْماعُ عَلَىٰ مَنْعِ تَكْفِيرِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ
إِلَّا بِما فِيهِ نَفْيُ ٱلصَّانِعِ ٱلْقادِرِ - جَلَّ وَعَلا -
أَوْ شِرْكٌ جَلِيٌّ لا يَحْتَمِلُ ٱلتَّأْوِيلَ، أَوْ إِنْكارُ ٱلنُّبُوَّةِ،
أَوْ إِنْكارُ ما عُلِمَ مِنَ ٱلدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، أَوْ إِنْكارُ
مُتَواتِرٍ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ ضَرُورَةً مِنَ ٱلدِّينِ ».
ثُمَّ يَنْقُلُ قَوْلَهُ : « فَلا يَجُوزُ لِأَيِّ إِنْسانٍ : ٱلرَّكْضُ
فِي هٰذا ٱلْمَيْدانِ، وَٱلتَّكْفِيرُ بِٱلْأَوْهامِ وَٱلْمَظانِّ،
دُونَ تَثَبُّتٍ وَيَقِينٍ، وَعِلْمٍ مَتِينٍ،
وَإِلَّا ٱخْتَلَطَ سَيْلُها بِٱلْأَبْطَحِ،
وَلَمْ يَبْقَ مُسْلِمٌ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ إِلَّا ٱلْقَلِيلُ،
كَما لا يَجُوزُ ٱلتَّكْفِيرُ بِٱرْتِكابِ ٱلْمَعاصِي
مَعَ ٱلْإِيمانِ، وَٱلْإِقْرارِ بِالشَّهادَتَيْنِ . .
وَفِي ٱلْحَدِيثِ ٱلَّذِي أَخْرَجَهُ أَبُو داوُدَ
عَنْ أَنَسٍ ﷺ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ :
« ثَلاثٌ مِنْ أَصْلِ ٱلْإِيمانِ :
ٱلْكَفُّ عَمَّنْ قالَ « لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ »،
لا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ،

وَلا نُخْرِجُهُ عَنْ أَصْلِ ٱلْإِسْلامِ بِٱلْعَمَلِ . .

وَٱلْجِهادُ ماضٍ مُنْذُ بَعَثَنِى ٱللَّهُ

إِلَىٰ أَنْ يُقاتِلَ آخِرُ أُمَّتِى ٱلدَّجَّالَ ،

لا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جائِرٍ ،

وَلا عَدْلُ عادِلٍ . .

وَٱلْإِيمانُ بِٱلْأَقْدارِ » .

وَيَنْتَقِلُ ٱلشَّيْخُ ٱلمالِكِيُّ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَى ٱلتَّعْلِيقِ عَلَىٰ حَدِيثِ :

« سِبابُ ٱلْمُسْلِمِ : فُسُوقٌ . . وَقِتالُهُ : كُفْرٌ » ،

وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ ،

وَقَدْ ساقَ خِلالَ ذٰلِكَ حَدِيثَ خالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ ﷺ ،

فِى سَرِيَّتِهِ إِلَىٰ بَنِى جُزَيْمَةَ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْإِسْلامِ ،

وَقَدْ حَدَثَ خَطَأً ؛ قَتْلٌ مِنْ جانِبِ

بَعْضِ ٱلْمُسْلِمِينَ لِبَعْضِ بَنِى جُزَيْمَةَ .

فَلَمّا بَلَغَ ٱلنَّبِيَّ ﷺ ما فَعَلَ خالِدٌ قالَ :

« ٱللَّهُمَّ : إِنِّى أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمّا صَنَعَ خالِدٌ » ،

قالَ ذٰلِكَ مَرَّتَيْنِ .

كَما ساقَ قِصَّةَ أُسامَةَ بْنِ زَيْدٍ : حِبِّ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ وَٱبْنِ حِبِّهِ

حِينَ كانَ فِي بَعْثٍ إِلَى ٱلحُرَقَةِ ،

وَقَتَلَ رَجُلًا قالَ : « لا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ » ،

فَلَمّا بَلَغَ ٱلنَّبِيَّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ذٰلِكَ قالَ :

« يا أُسامَةُ ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَما قالَ : « لا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ » ؟

قُلْتُ : (كانَ مُتَعَوِّذًا) . .

فَما زالَ يُكَرِّرُها حَتَّى تَمَنَّيْتُ

أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ » .

وَفِي رِوايَةٍ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ قالَ لَهُ :

« أَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ ؟

فَتَعْلَمَ : أَصادِقٌ أَمْ كاذِبٌ ؟ » ،

قالَ أُسامَةُ : (لا أُقاتِلُ أَحَدًا يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) .

وَقَدْ سُئِلَ ٱلْإِمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَنِ ٱلْمُخالِفِينَ لَهُ

مِنَ ٱلْفِرَقِ : (أَكُفّارٌ هُمْ ؟)

قالَ : (لا ، إِنَّهُمْ مِنَ ٱلْكُفْرِ فَرُّوا) ،

فَقِيلَ : (أَمُنافِقُونَ هُمْ ؟)

فَقالَ : (لا ، إِنَّ ٱلْمُنافِقِينَ لا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . .

وَهٰؤُلاءِ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ كَثِيرًا) ،

فَقِيلَ : (أَيُّ شَيْءٍ هُمْ ؟)

قالَ : (قَوْمٌ أَصابَتْهُمُ ٱلْفِتْنَةُ ؛ فَعَمُوا وَصَمُّوا) .

وَما أَجْدَرَ أَنْ يَنْطَبِقَ هٰذا ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلَّذِينَ

يُكَفِّرُونَ ٱلنَّاسَ فِى هٰذِهِ ٱلآوِنَةِ ، وَٱلْعُلَماءَ بِالذَّاتِ ،

وَيُرَوِّعُونَ ٱلآمِنِينَ ، وَيُؤَرِّقُونَ مَضاجِعَ ٱلوادِعِينَ ،

بِحُجَّةِ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ لِحِسابِ ٱلإِسْلامِ ! . .

وَٱلْحَقُّ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ عَلَى حِسابِ ٱلْإِسْلامِ ،

وَٱلْإِسْلامُ مِنْهُمْ بَراءٌ ! . .

وَساقَ ٱلشَّيْخُ ٱلمالِكِيُّ أَقْوالَ ٱلسَّلَفِ ،

وَبَعْضِ ٱلْعُلَماءِ فِى ٱلتَّحْذِيرِ مِنَ ٱلتَّكْفِيرِ ؛

كَجابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ ، وَيَزِيدَ ٱلرَّقاشِيِّ ، وَأَنَسِ بْنِ مالِكٍ ،

وَٱلْإِمامِ أَحْمَدَ ، وَٱلْإِمامِ ٱلطَّحاوِيِّ ٱلَّذِى قالَ :

« قَدْ أُمِرْنا بِٱلْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ ،

وَنُهِينا عَنِ ٱتِّباعِ ٱلظَّنِّ ، وَٱتِّباعِ ما لَيْسَ لَنا بِهِ عِلْمٌ » .

وَقالَ قَوْلَةً عَظِيمَةً : « إِنَّ ٱسْتِباحَةَ ٱلدِّماءِ وَٱلْأَمْوالِ

مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ إِلَى ٱلقِبْلَةِ ، ٱلْمُصَرِّحِينَ بِقَوْلِ :

« لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ » : خَطَأٌ . .

وَٱلْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كافِرٍ فِي ٱلْحَياةِ :

أَهْوَنُ مِنَ ٱلْخَطَإِ فِي سَفْكِ مِحْجَمَةٍ مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ » ،

وَمِثْلَ هٰذا قالَ ٱلْإِمامُ ٱبْنُ تَيْمِيَّةَ وَأَبُو بَطِينٍ .

وَفَرَّقَ ٱلشَّيْخُ ٱلمالِكِيُّ بَيْنَ مَقامِ ٱلخالِقِ

وَمَقامِ ٱلمَخْلُوقِ ، مُؤَكِّدًا أَنَّنا - بِفَضْلِ ٱللَّهِ تَعالَىٰ -

نَعْرِفُ ما يَجِبُ لِلَّهِ - تَعالَىٰ -

وَما يَجِبُ لِرَسُولِهِ ﷺ ،

وَنَعْرِفُ ما هُوَ مَحْضُ حَقٍّ لِلَّهِ - تَعالَىٰ -

وَما هُوَ مَحْضُ حَقٍّ لِرَسُولِهِ ﷺ

مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ وَلا إِطْراءٍ

يَصِلُ حَدَّ وَصْفِهِ بِخَصائِصِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ وَٱلْأُلُوهِيَّةِ ،

فِي ٱلْمَنْعِ وَٱلْعَطاءِ ، وَٱلنَّفْعِ وَٱلضَّرِّ ٱلِاسْتِقْلالِيِّ

(دُونَ ٱللَّهِ - تَعالَىٰ -) ،

وَٱلسُّلْطَةِ ٱلكامِلَةِ ، وَٱلْهَيْمَنَةِ ٱلشّامِلَةِ ، وَٱلْخَلْقِ ، وَٱلْمُلْكِ ،

وَٱلتَّدْبِيرِ ، وَٱلتَّفَرُّدِ بِٱلْكَمالِ وَٱلْجَلالِ وَٱلتَّقْدِيسِ ،

وَٱلتَّفَرُّدِ بِٱلْعِبادَةِ بِمُخْتَلِفِ أَنْواعِها ، وَأَحْوالِها ، وَمَراتِبِها » .

وَيُؤَكِّدُ أَنَّ ٱلرَّسُولَ ﷺ بَشَرٌ ،

لٰكِنَّهُ بَشَرٌ يُوحَىٰ إِلَيْهِ . .

ثُمَّ ذَكَرَ ٱلْأُمُورَ ٱلْمُشْتَرَكَةَ بَيْنَ ٱلْمَقامَيْنِ :

مَقامِ ٱلْخالِقِ وَمَقامِ ٱلْمَخْلُوقِ ، وَأَنَّها لا تُنافِى ٱلتَّنْزِيهَ ؛

كَٱلْخَصائِصِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ؛

مِثْلُ : ٱلشَّفاعَةِ ، وَعِلْمِ ٱلْغَيْبِ ، وَٱلْهِدايَةِ .

ثُمَّ ٱنْتَقَلَ ٱلشَّيْخُ ٱلْمالِكِيُّ إِلَىٰ قَضِيَّةٍ خَطِيرَةٍ ؛

وَهِىَ « ٱلْعَوامُّ . . وَمَبْحَثُ ٱلصِّفاتِ فِى ٱلْعَقِيدَةِ » ؛

إِذْ إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْفِتَنِ سُؤالَ ٱلْعَوامِّ عَنْ صِفاتِ ٱللَّهِ – تَعالَىٰ – ،

وَعَنْ كَلامِهِ ، وَعَنِ ٱلْحُرُوفِ ، وَأَنَّها قَدِيمَةٌ أَوْ مُحْدَثَةٌ ،

وَعَنْ ٱلِٱسْتِواءِ وَكَيْفِيَّتِهِ ؛ إِذْ إِنَّ ٱشْتِغالَ ٱلْعَوامِّ

بِمَسائِلِ ٱلْعَقِيدَةِ ٱلْعِلْمِيَّةِ ٱلَّتِى تَحْتاجُ إِلَىٰ أَهْلِيَّةٍ :

مِنْ أَعْظَمِ ٱلْآفاتِ . . وَهُوَ مِنَ ٱلْمُثِيراتِ لِلْفِتَنِ .

وَلَيْسَ ٱلْمُرادُ بِٱلْعَوامِّ هُنا ٱلسُّوقِيَّةَ وَٱلْأَجْلافَ مِنْ أَهْلِ

ٱلسَّواءِ فَقَطْ ، بَلْ فِى مَعْنَى ٱلْعَوامِّ ٱلْأَدِيبُ ، وَٱلنَّحْوِىُّ ،

وَٱلْفَيْلَسُوفُ ، مِنْ غَيْرِ ٱلْمُخْتَصِّينَ فِى شُئُونِ ٱلْعَقِيدَةِ .

ثُمَّ ذَكَرَ ٱلشَّيْخُ ٱلمالِكِيُّ أَنَّ مِنْ شُعَبِ
ٱلتَّكْفِيرِ : ٱلكِبْرَ وَٱلعُجْبَ والِاحْتِقارَ ؛
إِذِ ٱلْمُكَفِّرُونَ يُعْجَبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَعْمالِهِمْ ! . .
وَٱلعُجْبُ بِدايَةٌ خَطِيرَةٌ لِأَقْبَحِ خُلُقٍ نَهَى عَنْهُ ٱلْإِسْلامُ ،
وَحَذَّرَ مِنْهُ ؛ إِنَّهُ ٱلكِبْرُ ٱلَّذِى تَمَيَّزَ بِهِ أَوَّلُ كافِرٍ
فِى ٱلخَلْقِ ؛ وَهُوَ إِبْلِيسُ عَلَيْهِ لَعْنَةُ ٱللَّهِ .
وَٱلْمُتَكَبِّرُ عَدُوُّ ٱللَّهِ ، قالَ - تَعالَى - :
﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النحل] .
وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﵁ قالَ :
قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ فِى ٱلحَدِيثِ ٱلقُدْسِىِّ :
« ٱلكِبْرِياءُ : رِدائِى ، وَٱلعَظَمَةُ : إِزارِى .
فَمَنْ نازَعَنِى واحِدًا مِنْهُما :
أَلْقَيْتُهُ فِى جَهَنَّمَ وَلا أُبالِى . . » . (رَواهُ ٱبْنُ ماجَهْ) .
وَعَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قالَ :
قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ :
« لا يَدْخُلُ ٱلنَّارَ أَحَدٌ فِى قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمانٍ . .
وَلا يَدْخُلُ ٱلجَنَّةَ أَحَدٌ فِى قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِياءَ » .
(رَواهُ مُسْلِمٌ فِى صَحِيحِهِ) .

وَلِلْكِبْرِ عَلاماتٌ ؛ مِنْها : حُبُّ ٱلتَّقَدُّمِ عَلَى ٱلنَّاسِ ، وَإِظْهارُ ٱلتَّرَفُّعِ عَلَيْهِمْ ، وَتَزْكِيَةُ ٱلنَّفْسِ ، وَٱلثَّناءُ عَلَيْها . . .

وَأَشارَ ٱلشَّيْخُ ٱلمالِكِيُّ إِلَىٰ أَنَّ ٱلعُجْبَ هُوَ مِفْتاحُ ٱلشُّرُورِ ، وَهُوَ مَذْمُومٌ فِى كِتابِ ٱللَّهِ ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ، قالَ - تَعالَىٰ - :

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة]

وَقالَ ﷺ لِأَبِى ثَعْلَبَةَ ٱلْخُشَنِيِّ :

« إِذا رَأَيْتَ شُحًّا مُطاعًا ، وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وَإِعْجابَ كُلِّ ذِى رَأْيٍ بِرَأْيِهِ : فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ » .

(رَواهُ أَبُو داوُدَ وَٱلتِّرْمِذِيُّ ، وَحَسَّنَهُ ٱبْنُ ماجَهْ) .

وَقِيلَ لِعائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْها : (مَتَىٰ يَكُونُ ٱلرَّجُلُ مُسِيئًا ؟) قالَتْ : « إِذا ظَنَّ أَنَّهُ مُحْسِنٌ » ؛ أَىْ : ظَنَّ ٱلْمُعْجَبِينَ ، وَهُوَ غَيْرُ ظَنِّ ٱلْمُحْسِنِينَ ، فَذٰلِكَ رَجاءُ ٱلْإِحْسانِ .

وَآفاتُ ٱلْعُجْبِ كَثِيرَةٌ ؛ فَهُوَ يَدْعُو إِلَىٰ ٱلْكِبْرِ ، وَهُوَ أَحَدُ أَسْبابِهِ . وَٱلْعُجْبُ يَدْعُو إِلَىٰ نِسْيانِ ٱلذُّنُوبِ وَإِهْمالِها ! . . وَٱلْمُعْجَبُ يَغْتَرُّ بِنَفْسِهِ وَبِرَأْيِهِ ، وَيَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ وَعَذابَهُ ،

وَٱللَّهُ ﷻ يَقُولُ : ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف]

أَيُّها ٱلقارِئُ ٱلكَرِيمُ ، هٰذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ ،

وَتَنْبِيهٌ لِلْغافِلِينَ ، وَدَقٌّ لِأَجْراسِ ٱلخَطَرِ حِيالَ

هٰؤُلاءِ ٱلْمُكَفِّرِينَ وَٱلْمُفَسِّقِينَ وَٱلْمُبَدِّعِينَ ،

وَدَعْوَةٌ إِلَىٰ كُلِّ مَسْئُولٍ فِى هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ ، عَلَىٰ مُسْتَوَى ٱلْأَفْرادِ ،

وَٱلْهَيْئاتِ ، وَٱلْجَماعاتِ ، وَٱلْمُؤَسَّساتِ ، وَٱلدُّوَلِ ،

إِلَىٰ أَنْ يُعِيدُوا ٱلنَّظَرَ فِى مَناهِجِ تَرْبِيَةِ أَبْناءِ ٱلْمُسْلِمِينَ ؛

فَلْنَبْحَثْ عَنِ ٱلعِلَلِ ، وَلْنُحَدِّدْ أَعْراضَها ،

ثُمَّ لْنَصِفْ لَها ٱلدَّواءَ ٱلنَّاجِعَ ٱلَّذِى يَكْفُلُ لَها ٱلشِّفاءَ ٱلتَّامَّ . .

أَلا وَإِنَّ دَواءَ أُمَّتِنا فِى تَوَحُّدِها ، وَعَدَمِ تَفَرُّقِها ،

وَفِى لُزُومِ جَماعَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ ،

وَفِى عَدَمِ تَوْزِيعِ ٱلتُّهَمِ عَلَى ٱلْآخَرِينَ . .

وَحِينَئِذٍ سَتَرْتَفِعُ رايَةُ ٱلْإِسْلامِ خَفَّاقَةً مُدَوِّيَةً . .

وَسَيُحَقِّقُ ٱللَّهُ ٱلنَّصْرَ لِلْأُمَّةِ ٱلْإِسْلامِيَّةِ عَلَى أَعْدائِها ،

بَعْدَ أَنْ تُوَحِّدَ كَلِمَتَها ، وَتَجْمَعَ صُفُوفَها ،

وَتَتَمَسَّكَ بِقُرْآنِ رَبِّها ، وَسُنَّةِ نَبِيِّها ﷺ ،

وَما ذٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ .

مُنًى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَعْظَمَ ٱلْمُنَى
وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنا بِها زَمَنًا رَغْدا

كَتَبَهُ

د/ محمد متولى منصور

جامعة الأزهر – أسرة سبيل الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعالَمِينَ، وَٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ ٱلْمُرْسَلِينَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمّا بَعْدُ:

فَلَقَدِ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ فِي هٰذِهِ ٱلْأَعْصُرِ ٱلْأَخِيرَةِ ٱلْجَدِيدَةِ بِمِحَنٍ وَبَلايا وَزَلازِلَ نَفْسِيَّةٍ شَدِيدَةٍ، حَتَّىٰ شَكَّ ٱلْمُنافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فِي وَعْدِ ٱللَّهِ ٱلْكَرِيمِ بِٱلنَّصْرِ وَٱلتَّأْيِيدِ لِأَهْلِ ٱلْحَقِّ وَقالُوا: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[1]؛ وَلٰكِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلصّادِقِينَ ما زادَهُمْ ذٰلِكَ إِلَّا إِيمانًا وَتَسْلِيمًا وَنُورًا، وَثَباتًا وَطُمَأْنِينَةً وَفَرَحًا وَسُرُورًا، بِثَوابِ ٱلعامِلِينَ وَجَوائِزِ ٱلصّادِقِينَ، وَرِضا رَبِّ ٱلعالَمِينَ وَسَيِّدِ ٱلْمُرْسَلِينَ صَلَواتُ ٱللَّهِ

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٢.

وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَٱلتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ ٱلْمِحَنِ وَٱلْمَصائِبِ ما يَجْرِى عَلَى ٱلسَّاحَةِ ٱلْيَوْمَ مِنْ تَكْفِيرٍ وَنَقْدٍ وَرُدُودٍ تَحَوَّلَتْ إِلَىٰ عِنادٍ شَخْصِيٍّ، وَٱنْتِصارٍ ذاتِيٍّ، وَعَداءٍ ظاهِرٍ، وَٱنْتِهاكٍ لِلْأَعْراضِ وَٱلْحُرُماتِ، وَتَلَمُّسٍ لِلْمَعائِبِ، وَتَشَهٍّ بِإِلْصاقِ ٱلتُّهَمِ بِٱلنَّاسِ وَتَتَبُّعِ ٱلْعَوْراتِ وَٱلْهَفَواتِ، وَنَشْرٍ لِلْعَثَراتِ، وَسَتْرٍ لِلْخَيْراتِ وَٱلْفَضائِلِ، وَمَنْ ذا ٱلَّذِى ما ساءَ قَطُّ، كَما قالَ ٱلشَّاعِرُ:

سامِحْ أَخاكَ إِذا خَلَطْ ... مِنْهُ ٱلْإِصابَةَ بِٱلْغَلَطْ
وَتَجافَ عَنْ تَعْنِيفِهِ ... إِنْ جارَ يَوْمًا أَوْ قَسَطْ
مَنْ ذا ٱلَّذِى ما ساءَ قَطْ ... وَمَنْ لَهُ ٱلْحُسْنَىٰ فَقَطْ
غَيْرُ نَبِيِّنا ٱلَّذِى ... عَلَيْهِ جِبْرِيلُ هَبَطْ

قالَ بَعْضُ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ:

وَقَدْ وَقَعَتْ هٰذِهِ ٱلْبَلِيَّةُ وَٱلطَّامَّةُ ٱلَّتِى كُنَّا نَخافُ مِنْها، وَنُحَذِّرُ شَبابَنا مِنَ ٱلْوُقُوعِ وَٱلدُّخُولِ فِى ظُلُماتِها:

وَهٰذِهِ ٱلْبَلِيَّةُ هِيَ ما نَسْمَعُهُ مِنَ ٱلطَّعْنِ فِي ٱلْعُلَماءِ بِأُسْلُوبٍ ما كانَ يُعْرَفُ مِنْ قَبْلُ، وَما كانَ يُتَوَقَّعُ أَنَّهُ فِي يَوْمٍ مِنَ ٱلْأَيَّامِ يَقَعُ فِي هٰذِهِ ٱلْبِلادِ خاصَّةً، وَٱلَّتِي لا يَزالُ بِها ٱلْعُلَماءُ ٱلْأَجِلَّاءُ ٱلَّذِينَ هُمْ بَقِيَّةُ ٱلسَّلَفِ ٱلصَّالِحِ، وَقَدْ وَصَلَ ٱلْأَمْرُ هٰذا ذِرْوَتَهُ وَظَهَرَ فِي أَشُدِّهِ وَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ فِي هٰذِهِ ٱلْأَيَّامِ. اهـ.

يَقُولُ ٱلْأُسْتاذُ ٱلدُّكْتُورُ طٰهٰ جابِرْ فَيَّاضٍ ٱلْعَلْوانِيُّ أُسْتاذُ ٱلْفِقْهِ وَأُصُولِهِ فِي جامِعَةِ ٱلْإِمامِ مُحَمَّدِ بْنِ سُعُودٍ ٱلْإِسْلامِيَّةِ سابِقًا:

بَدَأْنا نَرَىٰ شَبابًا يَنْتَسِبُونَ إِلَى ٱلسَّلَفِيَّةِ، وَآخَرِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَىٰ أَهْلِ ٱلْحَدِيثِ، وَفَرِيقًا يَنْتَسِبُونَ إِلَى ٱلْمَذْهَبِيَّةِ، وَآخَرِينَ يَدَّعُونَ ٱللَّامَذْهَبِيَّةَ، وَبَيْنَ هٰؤُلاءِ وَأُولٰئِكَ تُتَبادَلُ ٱلِاتِّهاماتُ ٱلْمُخْتَلِفَةُ مِنَ ٱلتَّكْفِيرِ وَٱلتَّفْسِيقِ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى ٱلْبِدْعَةِ وَٱلِٱنْحِرافِ وَٱلْعَمالَةِ وَٱلتَّجَسُّسِ وَنَحْوِ ذٰلِكَ، مِمّا لا يَلِيقُ بِمُسْلِمٍ أَنْ يَنْسُبَ أَخاهُ إِلَيْهِ بِحالٍ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُعْلِنَهُ لِلنَّاسِ بِكُلِّ ما لَدَيْهِ مِنْ وَسائِلَ، غافِلِينَ أَوْ مُتَغافِلِينَ عَنْ أَنَّ ما يَتَعَرَّضُ

لَهُ ٱلْإِسْلامُ مِنْ مُحاوَلاتِ ٱسْتِئْصالٍ أَخْطَرُ عَلَى ٱلْأُمَّةِ مِنْ تِلْكَ ٱلِٱخْتِلافاتِ، وَإِذا كانَ لِلْأَئِمَّةِ ٱلْمُجْتَهِدِينَ أَسْبابُ ٱخْتِلافٍ تُبَرِّرُ ٱخْتِلافاتِهِمْ وَتُخَفِّفُ مِنْها، وَتُساعِدُ عَلَىٰ وَضْعِها ضِمْنَ ضَوابِطِ ٱلِٱخْتِلافِ، فَإِنَّ أَرْبابَ ٱلِٱخْتِلافِ مِنَ ٱلْمُعاصِرِينَ لا يَمْلِكُونَ سَبَبًا واحِدًا مِنْ أَسْبابِ ٱلِٱخْتِلافِ ٱلْمَعْقُولِ، فَهُمْ لَيْسُوا بِمُجْتَهِدِينَ، وَكُلُّهُمْ مُقَلِّدُونَ بِمَنْ فِيهِمْ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَرْفَعُونَ أَصْواتَهُمْ عالِيًا بِنَبْذِ ٱلتَّقْلِيدِ وَنَفْيِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ ٱلْأَحْكامَ مِنَ ٱلْكِتابِ وَٱلسُّنَّةِ مُباشَرَةً دُونَ تَقْلِيدٍ، وَهُمْ فِي ٱلْحَقِيقَةِ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ بَعْضِ كُتُبِ ٱلْحَدِيثِ، وَيُقَلِّدُونَ كاتِبِيها فِي كُلِّ ما يَقُولُونَ فِي ٱلْحَدِيثِ وَدَرَجَتِهِ وَرِجالِهِ، وَيُتابِعُونَهُمْ فِي كُلِّ ما يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْكُتُبِ أَوْ يَنْقُلُونَهُ مِنَ ٱلْفُقَهاءِ.

قُلْتُ: وَغايَةُ ما يَفْعَلُونَهُ هُوَ تَقْلِيدُ عُلَمائِهِمْ مِمَّنْ يَدَّعُونَ ٱلِٱجْتِهادَ فِي ٱلْفِقْهِ وَٱلْحَدِيثِ وَتَرْكُ تَقْلِيدِ ٱلْأَئِمَّةِ ٱلسَّابِقِينَ، إِذْ تَراهُمْ يَنْقُلُونَ مَثَلًا ٱلْحَدِيثَ

وَحُكْمَ ٱلْعُلَماءِ ٱلسَّابِقِينَ عَلَيْهِ تَصْحِيحًا أَوْ تَضْعِيفًا، ثُمَّ يُؤَيِّدُونَ ذٰلِكَ بِكَلامِ ٱلْمُعاصِرِينَ وَيَنْقُلُونَهُ قَضِيَّةً مُسَلَّمَةً لا شَكَّ فِيها.

أَلَيْسَ هٰذا هُوَ ٱلتَّقْلِيدَ بِعَيْنِهِ؟ بَلْ هُوَ ٱلتَّقْلِيدُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[1].

ثُمَّ قالَ ٱلْأُسْتاذُ ٱلدُّكْتُورُ ٱلْفَيَّاضُ: وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ مَنْ يَنْسُبُ لِنَفْسِهِ ٱلْعِلْمَ بِٱلرِّجالِ وَمَعْرِفَةَ مَراتِبِ ٱلْجَرْحِ وَٱلتَّعْدِيلِ وَتارِيخِ ٱلرِّجالِ، وَهُوَ فِي ذٰلِكَ لا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ قَدْ دَرَسَ كِتابًا مِنْ كُتُبِ ٱلْقَوْمِ فِي هٰذا ٱلْمَوْضُوعِ أَوْ ذاكَ، فَأَباحَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَعْتَلِيَ مِنْبَرَ ٱلِاجْتِهادِ، وَحُقَّ لَهُ أَنْ يَتَعالَىٰ عَلَى ٱلْعِبادِ، وَحَرِيٌّ بِمَنْ نالَ نَصِيبًا مِنَ ٱلْعِلْمِ أَنْ يَنْهاهُ عِلْمُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْجاهِلِينَ، وَأَنْ يَرْتَفِعَ عَنْ تَوْزِيعِ ٱلْأَلْقابِ وَٱتِّهامِ ٱلنَّاسِ، وَيُدْرِكَ خُطُورَةَ ما تَتَعَرَّضُ لَهُ عَقِيدَةُ ٱلْأُمَّةِ، فَيَعْمَلُ عَلَى ٱلذَّبِّ عَنْها،

---

(١) سورة الحج: الآية ٤٦.

وَيَحْرِصُ عَلَىٰ جَمْعِ ٱلْقُلُوبِ، وَما دامَ ٱلْجَمِيعُ يُقَلِّدُونَ وَيَأْخُذُونَ عَنْ أَئِمَّتِهِمْ أَقْوالَهُمْ عَلَى ٱخْتِلافِهِمْ - وَإِنْ زَعَمُوا غَيْرَ ذٰلِكَ - فَلا أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَلْتَزِمُوا بِآدابِ ٱلِاخْتِلافِ ٱلَّتِي عاشَ فِي كَنَفِها كِرامُ ٱلْأَئِمَّةِ مِنَ ٱلسَّلَفِ[1]. اهـ.

لَقَدِ ٱبْتُلِينا بِجَماعَةٍ تَخَصَّصَتْ فِي تَوْزِيعِ ٱلْكُفْرِ وَٱلشِّرْكِ وَإِصْدارِ ٱلْأَحْكامِ بِأَلْقابٍ وَأَوْصافٍ لا يَصِحُّ وَلا يَلِيقُ أَنْ تُطْلَقَ عَلَىٰ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ٱللَّهِ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِيمَنْ يَخْتَلِفُ فِي ٱلرَّأْيِ وَٱلْمَذْهَبِ مَعَهُ: مُخَرِّفٌ .... دَجَّالٌ ... مُشَعْوِذٌ ... مُبْتَدِعٌ ... وَفِي ٱلنِّهايَةِ: مُشْرِكٌ ... وَكافِرٌ ...

وَلَقَدْ سَمِعْنا كَثِيرًا مِنَ ٱلسُّفَهاءِ ٱلَّذِينَ يَنْسُبُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَى ٱلْعَقِيدَةِ يَكِيلُونَ مِثْلَ هٰذِهِ ٱلْأَلْفاظِ جُزافًا وَيَزِيدُ بَعْضُ جَهَلَتِهِمْ بِقَوْلِهِ: داعِيَةُ ٱلشِّرْكِ وَٱلضَّلالِ فِي

---

(١) (أَدَبُ ٱلِاخْتِلافِ فِي ٱلْإِسْلامِ). لِلدُّكْتُورِ طٰهٰ جابِرْ فَيَّاض.

هٰذِهِ ٱلْأَزْمانِ، وَمُجَدِّدُ مِلَّةِ عَمْرِو بْنِ لُحَيٍّ ٱلْمَدْعُوُّ بِفُلانٍ...

هٰكَذا نَسْمَعُ بَعْضَ ٱلسُّفَهاءِ يَكِيلُ مِثْلَ هٰذا ٱلسَّبِّ وَٱلشَّتْمَ وَبِمِثْلِ هٰذِهِ ٱلْأَلفاظِ ٱلْقَبِيحَةِ ٱلَّتِي لا تَصْدُرُ إِلَّا عَنِ ٱلسُّوقَةِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُجِيدُوا أُسْلُوبَ ٱلدَّعْوَةِ وَطَرِيقَةَ ٱلْأَدَبِ فِي ٱلنِّقاشِ.

هٰكَذا تَأْتِي هٰذِهِ ٱلْأَلفاظُ مُتَتابِعَةً وَمُتَتالِيَةً، وَهٰكَذا نَسْمَعُها بِنَغْمَةٍ واحِدَةٍ وَفِي مَوْطِنٍ واحِدٍ وَفِي مَنْبَعٍ واحِدٍ.

لِذٰلِكَ نَبَّهَ ٱلْغَيُورُونَ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَلِّ وَٱلْعَقْدِ وَٱلْفِكْرِ وَٱلنَّظَرِ وَٱلْعَقْلِ وَٱلْفَهْمِ ٱلصَّحِيحِ لِلدِّينِ وَأَحْوالِ ٱلْمُجْتَمَعِ وَمُتَغَيِّراتِ ٱلزَّمانِ ٱلَّتِي لا تَقْدَحُ فِي أَصْلِ ٱلدِّينِ، وَإِنَّما هِيَ داخِلَةٌ تَحْتَ هَيْمَنَتِهِ وَقِيادَتِهِ وَسُلْطانِهِ إِذا أَحْسَنَ ٱلنَّاظِرُ ٱلْباحِثُ فَهْمَها وَأَتْقَنَ تَدَبُّرَها، وَتَبَصَّرَ فِيها بِما أَعْطاهُ ٱللَّهُ مِنْ عِلْمٍ وَعَقْلٍ وَفَهْمٍ فِي كِتابِ ٱللَّهِ جَلَّ جَلالُهُ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

تَنَبَّهَ ٱلْعُلَماءُ لِهٰذِهِ ٱلْفِتْنَةِ ٱلَّتِى يَسْتَغِلُّها أَعْداءُ ٱلْإِسْلامِ لِلْإِيقاعِ بِأَهْلِهِ، وَضَرْبِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، فَقامُوا بِواجِبِ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلتَّحْذِيرِ، فَجَزاهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا عَنِ ٱلْإِسْلامِ وَٱلْمُسْلِمِينَ، وَجَمَعَ بِهِمْ كَلِمَةَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَأَزالَ بِهِمُ ٱلتَّفَرُّقَ وَٱلْخِلافَ.

وَهٰذِهِ خُلاصَةٌ مُفِيدَةٌ شارَكْنا بِها فِى هٰذا ٱلْمَوْضُوعِ ٱلْمُهِمِّ، عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَنْفَعَ بِها وَأَنْ يَجْعَلَها خالِصَةً لِوَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ.

وَإِنِّى أَرْجُو مِمَّنْ يَطَّلِعُ عَلَىٰ بَعْضِ أَقْوالِ ٱلْعُلَماءِ فِى هٰذا ٱلْخُصُوصِ وَيَجِدُ فِى نَفْسِهِ مُخالَفَةً وَيُرِيدُ أَنْ يَنْتَقِدَ أَوْ أَنْ يَعْتَرِضَ، أَنْ يَلْتَزِمَ ٱلْأَدَبَ فِى ٱلْقَوْلِ، وَأَنْ يَبْتَعِدَ عَمّا تَعَوَّدَهُ بَعْضُ ٱلْمُنْتَقِدِينَ مِنَ ٱلْفُجُورِ فِى ٱلْخِصامِ وَٱلْغُلُوِّ فِى ٱلْبُغْضِ وَٱلْهُجُومِ فِى ٱلْكَلامِ دُونَ تَفْرِيقٍ بَيْنَ حَلالٍ وَحَرامٍ.

وَصَلَّى ٱللَّهُ وَسَلَّمَ وَبارَكَ عَلَىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعالَمِينَ.

مَوْقِفُ ٱلْإِمامَيْنِ: ٱبْنِ تَيْمِيَةَ وَٱلشَّوْكانِيِّ

يَقُولُ ٱلْإِمامُ ٱلشَّيْخُ ٱبْنُ تَيْمِيَةَ: «إِنَّ ٱلقَوْلَ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا فَيُطْلَقُ ٱلقَوْلُ بِتَكْفِيرِ صاحِبِهِ، وَيُقالُ: مَنْ قالَ هٰذا فَهُوَ كافِرٌ، لٰكِنَّ ٱلشَّخْصَ ٱلْمُعَيَّنَ ٱلَّذِي قالَهُ لا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ، حَتَّىٰ تَقُومَ عَلَيْهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلَّتِي يُكَفَّرُ تارِكُها، وَهٰذا كَما فِي نُصُوصِ ٱلْوَعِيدِ، فَإِنَّ ٱللَّهَ تَعالَىٰ يَقُولُ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[1].

فَهَذا وَنَحْوُهُ مِنْ نُصُوصِ ٱلْوَعِيدِ حَقٌّ، لٰكِنَّ ٱلشَّخْصَ ٱلْمُعَيَّنَ لا يُشْهَدُ عَلَيْهِ بِٱلْوَعِيدِ، فَلا يُشْهَدُ عَلَىٰ مُعَيَّنٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ بِٱلنَّارِ لِجَوازِ أَنْ لا يَلْحَقَهُ ٱلْوَعِيدُ، لِفَواتِ شَرْطٍ أَوْ ثُبُوتِ مانِعٍ، فَقَدْ لا يَكُونُ ٱلتَّحْرِيمُ بَلَغَهُ، وَقَدْ يَتُوبُ مِنْ فِعْلِ ٱلْمُحَرَّمِ، وَقَدْ تَكُونُ

---

(١) سورة النساء: الآية ١٠.

لَهُ حَسَناتٌ عَظِيمَةٌ تَمْحُو عُقُوبَةَ ٱلْمُحَرَّمِ، وَقَدْ يُبْتَلَىٰ بِمَصائِبَ تُكَفِّرُ عَنْهُ، وَقَدْ يَشْفَعُ فِيهِ شَفِيعٌ مُطاعٌ.

قالَ: وَهٰكَذا ٱلْأَقْوالُ ٱلَّتِي يُكَفَّرُ قائِلُها، قَدْ يَكُونُ ٱلرَّجُلُ لَمْ تَبْلُغْهُ ٱلنُّصُوصُ ٱلْمُوجِبَةُ لِمَعْرِفَةِ ٱلْحَقِّ.

قالَ: وَقَدْ تَكُونُ بَلَغَتْهُ وَلَمْ تَثْبُتْ عِنْدَهُ، أَوْ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ فَهْمِها، وَقَدْ تَكُونُ عَرَضَتْ لَهُ شُبُهاتٌ يَعْذِرُهُ ٱللَّهُ بِها.

قالَ: وَمَذاهِبُ ٱلْأَئِمَّةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ هٰذا ٱلتَّفْصِيلِ بَيْنَ ٱلنَّوْعِ وَٱلْمُعَيَّنِ.

وَرأَيْتُ لِلشَّيْخِ أَيْضًا فِي كِتابِ «طَرِيقِ ٱلْوُصُولِ إِلَى ٱلعِلْمِ ٱلْمَأْمُولِ بِمَعْرِفَةِ ٱلْقَواعِدِ وَٱلضَّوابِطِ وَٱلْأُصُولِ» لِلشَّيْخِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلسَّعْدِيِّ فِي (ص٧٦) ما نَصُّهُ: «وَلا يَلْزَمُ إِذا كانَ ٱلْقَوْلُ كُفْرًا أَنْ يُكَفَّرَ كُلُّ مَنْ قالَهُ مَعَ ٱلجَهْلِ وَٱلتَّأْوِيلِ، فَإِنَّ ثُبُوتَ ٱلْكُفْرِ فِي حَقِّ ٱلشَّخْصِ ٱلْمُعَيَّنِ كَثُبُوتِ ٱلْوَعِيدِ فِي ٱلْآخِرَةِ فِي حَقِّهِ، وَذٰلِكَ لَهُ شُرُوطٌ وَمَوانِعُ». اهـ.

وَنَقَلَ ٱلسَّيِّدُ صِدِّيقْ حَسَنْ خانْ فِي «ٱلرَّوْضَةِ ٱلنَّدِيَّةِ» ما قالَهُ ٱلعَلَّامَةُ ٱلشَّوْكانِيُّ فِي كِتابِهِ «ٱلسَّيْلِ ٱلجَرَّارِ» قالَ :

«ٱعْلَمْ أَنَّ ٱلحُكْمَ عَلَى ٱلرَّجُلِ ٱلمُسْلِمِ بِخُرُوجِهِ مِنْ دِينِ ٱلإِسْلامِ وَدُخُولِهِ فِي دِينِ ٱلكُفْرِ، لا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱليَوْمِ ٱلآخِرِ أَنْ يُقْدِمَ عَلَيْهِ إِلَّا بِبُرْهانٍ أَوْضَحَ مِنْ شَمْسِ ٱلنَّهارِ، فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي ٱلأَحادِيثِ ٱلصَّحِيحَةِ ٱلمَرْوِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ جَماعَةٍ مِنَ ٱلصَّحابَةِ أَنَّ : «مَنْ قالَ لِأَخِيهِ : يا كافِرُ فَقَدْ باءَ بِها أَحَدُهُما» هٰكَذا فِي ٱلصَّحِيحِ.

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ فِي ٱلصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِما : «مَنْ دَعا رَجُلًا بِٱلكُفْرِ أَوْ قالَ : عَدُوَّ ٱللَّهِ وَلَيْسَ كَذٰلِكَ، إِلَّا حارَ عَلَيْهِ : أَيْ رَجَعَ» .

وَفِي لَفْظٍ فِي ٱلصَّحِيحِ : «فَقَدْ كَفَرَ أَحَدُهُما» .

فَفِي هٰذِهِ ٱلأَحادِيثِ وَما وَرَدَ مَوْرِدَها أَعْظَمُ زاجِرٍ وَأَكْبَرُ واعِظٍ عَنِ ٱلإِسْرافِ فِي ٱلتَّكْفِيرِ، وَقَدْ قالَ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾[1].

فَلا بُدَّ مِنْ شَرْحِ ٱلصَّدْرِ بِٱلْكُفْرِ وَطُمَأْنِينَةِ ٱلْقَلْبِ وَسُكُونِ ٱلنَّفْسِ إِلَيْهِ، فَلا ٱعْتِبارَ بِما يَقَعُ مِنْ طَوارِقِ عَقائِدِ ٱلشِّرْكِ لا سِيَّما مَعَ ٱلْجَهْلِ بِمُخالَفَتِها لِطَرِيقَةِ ٱلْإِسْلامِ، وَلا ٱعْتِبارَ بِصُدُورِ فِعْلٍ كُفْرِيٍّ لَمْ يُرِدْ فاعِلُهُ ٱلْخُرُوجَ عَنِ ٱلْإِسْلامِ إِلَىٰ مِلَّةِ ٱلْكُفْرِ، وَلا ٱعْتِبارَ بِلَفْظٍ يَتَلَفَّظُ بِهِ ٱلْمُسْلِمُ يَدُلُّ عَلَى ٱلْكُفْرِ وَلا يَعْتَقِدُ مَعْناهُ.

---

(١) سورة النحل: الآية ١٠٦.

مَوْقِفُ ٱلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱلْوَهَّابِ

وَقَدْ وَقَفَ ٱلشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْوَهَّابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي هٰذا ٱلْمَيْدانِ مَوْقِفًا عَظِيمًا، قَدْ يَسْتَنْكِرُهُ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ وَمَحْسُوبٌ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَكِيلُ ٱلْحُكْمَ بِٱلتَّكْفِيرِ جُزافًا لِكُلِّ مَنْ خالَفَ طَرِيقَتَهُ وَنَبَذَ فِكْرَتَهُ، وَها هُوَ ذا ٱلشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْوَهَّابِ يُنْكِرُ كُلَّ ما يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنْ هٰذِهِ ٱلتَّفاهاتِ وَٱلسَّفاهاتِ وَٱلِافْتِراءاتِ، فَيَقُولُ ضِمْنَ عَقِيدَتِهِ فِي رِسالَتِهِ ٱلْمُوَجَّهَةِ لِأَهْلِ ٱلْقَصِيمِ:

«ثُمَّ لا يَخْفَىٰ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِسالَةَ سُلَيْمانَ بْنِ سُحَيْمٍ قَدْ وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ، وَأَنَّهُ قَبِلَها وَصَدَّقَها بَعْضُ ٱلْمُنْتَمِينَ لِلْعِلْمِ فِي جِهَتِكُمْ، وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱفْتَرَىٰ عَلَيَّ أُمُورًا لَمْ أَقُلْها، وَلَمْ يَأْتِ أَكْثَرُها عَلَىٰ بالِي.

فَمِنْها: قَوْلُهُ أَنِّي مُبْطِلٌ كُتُبَ ٱلْمَذاهِبِ ٱلْأَرْبَعَةِ،

وَأَنِّى أَقُولُ: إِنَّ ٱلنَّاسَ مِنْ سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ لَيْسُوا عَلَىٰ شَىْءٍ، وَأَنِّى أَدَّعِى ٱلِاجْتِهادَ، وَأَنِّى خارِجٌ عَنِ ٱلتَّقْلِيدِ، وَأَنِّى أَقُولُ: إِنَّ ٱخْتِلافَ ٱلْعُلَماءِ نِقْمَةٌ، وَأَنِّى أُكَفِّرُ مَنْ تَوَسَّلَ بِٱلصَّالِحِينَ، وَأَنِّى أُكَفِّرُ ٱلْبُوصِيرِىَّ لِقَوْلِهِ: يا أَكْرَمَ ٱلْخَلْقِ، وَأَنِّى أَقُولُ: لَوْ أَقْدِرُ عَلَىٰ هَدْمِ قُبَّةِ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ لَهَدَمْتُها، وَلَوْ أَقْدِرُ عَلَى ٱلْكَعْبَةِ لَأَخَذْتُ مِيزابَها وَجَعَلْتُ لَها مِيزابًا مِنْ خَشَبٍ، وَأَنِّى أُحَرِّمُ زِيارَةَ قَبْرِ ٱلنَّبِىِّ ﷺ، وَأَنِّى أُنْكِرُ زِيارَةَ قَبْرِ ٱلْوالِدَيْنِ وَغَيْرِهِما، وَأَنِّى أُكَفِّرُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ ٱللَّهِ، وَأَنِّى أُكَفِّرُ ٱبْنَ ٱلْفارِضِ وَٱبْنَ عَرَبِىٍّ، وَأَنِّى أُحْرِقُ دَلائِلَ ٱلْخَيْراتِ وَرَوْضَ ٱلرَّياحِينِ، وَأُسَمِّيهِ رَوْضَ ٱلشَّياطِينِ.

جَوابِى عَنْ هٰذِهِ ٱلْمَسائِلِ أَنْ أَقُولَ: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[1]».

وَقَبْلَهُ مَنْ بَهَتَ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ يَسُبُّ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ وَيَسُبُّ ٱلصَّالِحِينَ، فَتَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ بِٱفْتِراءِ

---

(١) سورة النور: الآية ١٦.

ٱلْكَذِبِ وَقَوْلِ ٱلزُّورِ .

قالَ تَعالَىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[1] ... ٱلْآيَةَ، بَهَتُوهُ ﷺ بِأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ ٱلْمَلائِكَةَ وَعِيسَىٰ وَعُزَيْرًا فِى ٱلنَّارِ، فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ فِى ذٰلِكَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[2][3].

❀❀❀

(١) سورة النحل : الآية ١٠٥ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ١٠١ .

(٣) ٱنْظُرِ ٱلرِّسالَةَ ٱلْأُولَىٰ مِنَ ٱلرَّسائِلِ ٱلشَّخْصِيَّةِ ضِمْنَ مَجْمُوعَةِ مُؤَلَّفاتِ ٱلشَّيْخِ ٱلْإِمامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱلْوَهَّابِ ٱلْمَنْشُورَةِ بِٱهْتِمامِ جامِعَةِ ٱلْإِمامِ مُحَمَّدِ بْنِ سُعُودِ ٱلْإِسْلامِيَّةِ (ٱلْقِسْمَ ٱلْخاصَّ ص/ ٣٧) .

رِسالَةٌ مُهِمَّةٌ أُخْرَىٰ: لِلشَّيْخِ فِي ٱلْمَوْضُوعِ

هٰذِهِ رِسالَةٌ أَرْسَلَها ٱلشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْوَهَّابِ إِلَى ٱلسُّوَيْدِيِّ عالِمٌ مِنْ أَهْلِ ٱلعِراقِ، وَكانَ قَدْ أَرْسَلَ لَهُ كِتابًا وَسَأَلَهُ عَمّا يَقُولُ ٱلنَّاسُ فِيهِ، فَأَجابَهُ بِهٰذِهِ ٱلرِّسالَةِ: قالَ فِيها:

«إِنَّ إِشاعَةَ ٱلْبُهْتانِ مِمّا يَسْتَحِي ٱلعاقِلُ أَنْ يَحْكِيَهُ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَفْتَرِيَهُ؛ مِمّا قُلْتُمْ أَنَّنِي أُكَفِّرُ جَمِيعَ ٱلنَّاسِ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَنِي، وَيا عَجَبًا كَيْفَ يَدْخُلُ هٰذا فِي عَقْلِ عاقِلٍ، وَهَلْ يَقُولُ هٰذا مُسْلِمٌ؟

وَما قُلْتُمْ لَوْ أَنَّنِي أَقْدِرُ عَلَىٰ هَدْمِ قُبَّةِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ لَهَدَمْتُها، وَفِي دَلائِلِ ٱلْخَيْراتِ لَحَرَّمْتُهُ، وَأَنْهَىٰ عَنِ ٱلصَّلاةِ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ بِأَيِّ نَظْمٍ كانَ، فَهَذا مِنَ ٱلْبُهْتانِ، وَٱلْمُسْلِمُ لا يَظُنُّ فِي قَلْبِهِ أَجَلَّ مِنْ كِتابِ ٱللَّهِ».

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ قالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَما قُلْتُمْ أَنَّنِي أُكَفِّرُ مَنْ تَوَسَّلَ بِٱلصَّالِحِينَ، وَأُكَفِّرُ ٱلْبُوصِيرِيَّ لِقَوْلِهِ:

يا أَكْرَمَ ٱلْخَلْقِ، وَأُنْكِرُ زِيارَةَ قَبْرِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّى أُنْكِرُ زِيارَةَ قَبْرِ ٱلْوالِدَيْنِ وَغَيْرِهِمْ، وَأُكَفِّرُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ ٱللَّهِ.

جَوابِي عَلَىٰ ذَٰلِكَ أَقُولُ: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[1][2].

❧❧❧❧

(١) سُورَةُ ٱلنُّورِ: ٱلْآيَةُ ١٦.

(٢) ٱنْظُرِ ٱلْقِسْمَ ٱلْخامِسَ - ٱلرَّسائِلَ ٱلشَّخْصِيَّةَ ص٣٧ مِنْ مَجْمُوعَةِ مُؤَلَّفاتِ ٱلشَّيْخِ.

بَيانٌ مُهِمٌّ

بَيانٌ مُهِمٌّ فِي ٱلْمَوْضُوعِ مِنَ ٱلشَّيْخِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ بْنِ بازٍ مُفْتِي ٱلْمَمْلَكَةِ:

فِي بَيانٍ لِلرَّئِيسِ ٱلْعامِّ لِإِدارَةِ ٱلْبُحُوثِ وَٱلْإِفْتاءِ فِي ٱلْمَمْلَكَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ ٱلسُّعُودِيَّةِ أَكَّدَ سَماحَةُ ٱلشَّيْخِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ بْنِ بازٍ مُفْتِي ٱلْمَمْلَكَةِ وَٱلرَّئِيسُ ٱلْعامُّ لِإِدارَةِ ٱلْبُحُوثِ ٱلْعِلْمِيَّةِ وَٱلْإِفْتاءِ: أَنَّهُ قَدْ شاعَ فِي هٰذا ٱلْعَصْرِ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلْمُنْتَسِبِينَ إِلَى ٱلْعِلْمِ وَٱلدَّعْوَةِ إِلَى ٱلْخَيْرِ يَقَعُونَ فِي أَعْراضِ كَثِيرٍ مِنْ إِخْوانِهِمُ ٱلدُّعاةِ ٱلْمَشْهُورِينَ، وَيَتَكَلَّمُونَ فِي أَعْراضِ طَلَبَةِ ٱلْعِلْمِ وَٱلدُّعاةِ وَٱلْمُحاضِرِينَ.

وَقالَ ٱلشَّيْخُ ٱبْنُ بازٍ فِي بَيانِهِ: إِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذٰلِكَ سِرًّا فِي مَجالِسِهِمْ، وَرُبَّما سَجَّلُوهُ فِي أَشْرِطَةٍ تُنْشَرُ عَلَى ٱلنَّاسِ، وَقَدْ يَفْعَلُونَهُ عَلانِيَةً فِي مُحاضَراتٍ عامَّةٍ فِي ٱلْمَساجِدِ، وَهٰذا ٱلْمَسْلَكُ مُخالِفٌ لِما أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ.

وَقالَ ٱلشَّيْخُ أَيْضًا: إِنَّ فِي ذٰلِكَ إِفسادًا لِقُلُوبِ ٱلعامَّةِ، وَنَشْرًا وَتَرْوِيجًا لِلأَكاذِيبِ وَٱلإِشاعاتِ ٱلباطِلَةِ، وَسَبَبًا فِي كَثْرَةِ ٱلغِيبَةِ وَٱلنَّمِيمَةِ، وَفَتْحِ أَبْوابِ ٱلشَّرِّ عَلَىٰ مَصارِيعِها لِضِعافِ ٱلنُّفُوسِ ٱلَّذِينَ يَدْأَبُونَ عَلَىٰ بَثِّ ٱلشُّبَهِ وَإِثارَةِ ٱلفِتَنِ، وَيَحْرِصُونَ عَلَىٰ إِيذاءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِغَيْرِ ما ٱكْتَسَبُوا.

ثُمَّ قالَ: فَٱلَّذِي أَنْصَحُ بِهِ هٰؤُلاءِ ٱلإِخْوَةَ ٱلَّذِينَ وَقَعُوا فِي أَعْراضِ ٱلدُّعاةِ وَنالُوا مِنْهُمْ أَنْ يَتُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ تَعالَىٰ مِمّا كَتَبَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَوْ تَلَفَّظَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ، مِمّا كانَ سَبَبًا فِي إِفْسادِ قُلُوبِ بَعْضِ ٱلشَّبابِ وَشَحْنِهِمْ بِٱلأَحْقادِ وَٱلضَّغائِنِ، وَشَغْلِهِمْ عَنْ طَلَبِ ٱلعِلْمِ ٱلنّافِعِ وَعَنِ ٱلدَّعْوَةِ إِلَى ٱللَّهِ بِٱلقِيلِ وَٱلقالِ وَٱلكَلامِ عَنْ فُلانٍ وَفُلانٍ، وَٱلبَحْثِ عَمّا يَعْتَبِرُونَهُ أَخْطاءً لِلآخَرِينَ، وَتَصَيُّدِها وَتَكَلُّفِ ذٰلِكَ، كَما أَنْصَحُهُمْ أَنْ يُكَفِّرُوا عَمّا فَعَلُوا بِكِتابَةٍ أَوْ غَيْرِها مِمّا يُبَرِّئُونَ فِيهِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ مِثْلِ هٰذا ٱلفِعْلِ، وَيُزِيلُونَ ما عَلِقَ فِي أَذْهانِ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِمْ، وَأَنْ يُقْبِلُوا عَلَى ٱلأَعْمالِ ٱلْمُثْمِرَةِ ٱلَّتِي

تُقَرِّبُ إِلَى ٱللَّهِ وَتَكُونُ نافِعَةً لِلْعِبادِ، وَأَنْ يَحْذَرُوا مِنَ ٱلتَّعَجُّلِ فِى إِطْلاقِ ٱلتَّكْفِيرِ أَوِ ٱلتَّفْسِيقِ أَوِ ٱلتَّبْدِيعِ لِغَيْرِهِمْ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلا بُرْهانٍ، وَقَدْ قالَ ٱلنَّبِىُّ ﷺ: «مَنْ قالَ لِأَخِيهِ يا كافِرُ فَقَدْ باءَ بِها أَحَدُهُما» مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ . اهـ .

ﻪﻪﻪﻪ

تَأْكِيدُ ٱلشَّيْخِ ٱبْنِ بازٍ تَحْذِيرَهُ مِنَ ٱلْمُبادَرَةِ إِلَى ٱلتَّكْفِيرِ وَٱلتَّشْهِيرِ

وَفِي لِقاءٍ مَفْتُوحٍ تَكَلَّمَ ٱلشَّيْخُ عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ بْنُ بازٍ مُؤَكِّدًا تَحْذِيرَهُ ٱلسَّابِقَ فِيما تَقَدَّمَ، وَمِمّا جاءَ فِي ذٰلِكَ ٱللِّقاءِ قَوْلُهُ:

«وَقَدْ قَيَّضَ ٱللَّهُ لَنا حُكُومَةً تُراعِي أَمْرَ ٱلدِّينِ وَأَمْرَ ٱلْأَمْنِ وَأَمْرَ ٱلْإِسْلامِ وَٱلْأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، وَتَحْكِيمَ شَرِيعَةِ ٱللَّهِ، وَتَنْهَى عَمّا نَهَى ٱللَّهُ عَنْهُ، هٰذِهِ مِنْ نِعَمِ ٱللَّهِ ٱلْعَظِيمَةِ، وَفِعْلُ ذٰلِكَ هُوَ ٱلْأَصْلُ ٱلَّذِي دَرَجَتْ عَلَيْهِ هٰذِهِ ٱلدَّوْلَةُ وَأَسْلافُها، وَدَرَجَ عَلَيْهِ عُلَماءُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي هٰذِهِ ٱلْبِلادِ مُنْذُ عَهْدِ ٱلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱلْوَهَّابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَمِنْ عَهْدِ ٱلْإِمامِ مُحَمَّدِ بْنِ سُعُودٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَٱلدَّعْوَةُ إِلَى ٱللَّهِ وَإِلَى تَوْحِيدِهِ وَٱلتَّواصِي بِٱلْحَقِّ وَٱلصَّبْرِ عَلَيْهِ وَٱلنَّظَرِ فِي هَذِهِ ٱلنِّعْمَةِ وَشُكْرِ ٱللَّهِ عَلَيْها، ثُمَّ ٱلتَّواصِي بِٱلدَّوامِ عَلَيْها

وَٱلدَّعْوَةِ إِلَيْها بَيْنَ ٱلْعُلَماءِ وَٱلْأُمَراءِ وَٱلْأَغْنِياءِ وَٱلْعامَّةِ وَٱلْخاصَّةِ، هِيَ نِعْمَةٌ يَجِبُ أَنْ نَتَباهَىٰ بِحِفْظِها وَٱلِاسْتِقامَةِ عَلَيْها وَٱلدَّعْوَةِ إِلَيْها، وَأَنْ نَتَعاوَنَ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى، وَأَنْ نَتَواصَىٰ بِٱلْحَقِّ وَٱلصَّبْرِ عَلَيْها، وَٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، وَأَنْ نُسَلِّمَ أَمْرَنا لِلَّهِ كَما أَمَرَ ٱللَّهُ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[1] فَٱلنُّصْحُ بِٱلْأُسْلُوبِ ٱلْحَسَنِ وَٱلْكِفايَةِ ٱلْمُفِيدَةِ وَٱلْمُشافَهَةِ ٱلْمُفِيدَةِ، وَلَيْسَ مِنَ ٱلنُّصْحِ ٱلتَّشْهِيرُ بِعُيُوبِ ٱلنَّاسِ وَٱنْتِقادِ ٱلدَّوْلَةِ، لٰكِنَّ ٱلنُّصْحَ أَنْ تَسْعَىٰ بِكُلِّ ما يُزِيلُ ٱلشَّرَّ وَيُثْبِّتُ ٱلْخَيْرَ بِٱلطُّرُقِ ٱلْحَكِيمَةِ، وبِٱلطُّرُقِ ٱلَّتِي يَرْضاها ٱللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَنَحْنُ فِي نِعَمٍ عَظِيمَةٍ: نِعْمَةِ ٱلْإِسْلامِ، وَنِعْمَةِ ٱلصِّحَّةِ وَٱلْعافِيَةِ، ثُمَّ ٱلنِّعْمَةِ ٱلْكُبْرَى ٱلَّتِي مَنَّ ٱللَّهُ بِها عَلَيْنا فِي ٱلْحادِثَةِ ٱلْكُبْرَىٰ حادِثَةِ ٱلْخَلِيجِ بَعْدَ عُدْوانِ عَدُوِّ ٱللَّهِ صَدَّامٍ وَجُنْدِهِ وَٱجْتِياحِهِ لِبَلَدِ ٱلْكُوَيْتِ، ثُمَّ يَسَّرَ ٱللَّهُ لِلدَّوْلَةِ أَنْ قامَتْ بِدَوْرِها فِي هٰذا ٱلْأَمْرِ،

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

وَقامَتِ ٱلْقِيامَ ٱلْعَظِيمَ لِرَفْعِ هٰذا ٱلظُّلْمِ وَٱسْتَعانَتْ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ، ثُمَّ بِٱلْجِنْسِيَّاتِ ٱلْمُشْتَرَكَةِ ٱلْمُتَعَدِّدَةِ ٱلَّتِى ساعَدَتْ فِى رَفْعِ هٰذا ٱلظُّلْمِ»[1].

---

(١) جَرِيدَةُ ٱلْمَدِينَةِ – ٱلسَّبْتَ ٢٨ رَجَبٍ ١٤١٢هـ.

أَدَبُ ٱلْخِلافِ

وَلَقَدْ أَحْسَنَ وَأَجادَ وَأَفادَ فَضِيلَةُ ٱلدُّكْتُورِ ٱلشَّيْخِ صالِحِ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ حُمَيْدٍ إِمامُ وَخَطِيبُ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرامِ ٱلْمَعْرُوفُ بِعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ وَٱتِّزانِهِ وَإِتْقانِهِ، لَقَدْ أَحْسَنَ فِيما قالَ وَكَتَبَ عَنْ أَدَبِ ٱلْخِلافِ فِى هٰذا ٱلْوَقْتِ ٱلْمُناسِبِ ٱلَّذِى تَدْعُو إِلَىٰ مِثْلِهِ ٱلْحاجَةُ بِإِلْحاحٍ شَدِيدٍ، فَوَضَعَ ٱلنِّقاطَ عَلَى ٱلْحُرُوفِ، وَأَتَىٰ بِٱلْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ بَيْنَ ٱلْجَمِيعِ مِمّا هُوَ مَعْرُوفٌ، وَأَظُنُّ أَنَّهُ لَوِ ٱلْتَزَمَ أَصْحابُ ٱلْخِلافِ بِما قالَهُ ٱلشَّيْخُ صالِحُ بْنُ حُمَيْدٍ فِى رِسالَتِهِ ٱلْقَيِّمَةِ هٰذِهِ لَما ظَهَرَ ما ظَهَرَ، وَلَما حَصَلَ ما حَصَلَ، مِنَ ٱلْفُرْقَةِ وَٱلْعَداءِ وَٱلسَّبِّ وَٱلشَّتْمِ وَٱلرَّدِّ وَٱلْمَرْدُودِ.

يَقُولُ فَضِيلَةُ ٱلشَّيْخِ صالِحٍ فِى كِتابِهِ:

«يَجِبُ ٱلْجِدُّ فِى ٱلسَّعْيِ مِنْ أَجْلِ إِحْياءِ ٱلْأُخُوَّةِ ٱلْإِسْلامِيَّةِ ٱلْحَقَّةِ لِتَلْتَقِيَ ٱلْأُمَّةُ بِفِئاتِها وَجَماعاتِها عَلَىٰ

نُصْرَةِ دِينِ ٱللَّهِ حُبًّا فِيهِ وَوَلاءً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ ٱنْتِماءً يَسْتَعْلِى عَلَىٰ كُلِّ ٱنْتِماءٍ، وَٱلْخِطابُ فِى هٰذا ٱللِّقاءِ أَيُّها ٱلْإِخْوَةُ.. مُوَجَّهٌ إِلَىٰ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْفِكْرِ.. عُلَماءَ وَطَلَبَةَ عِلْمٍ.. تُطْرَحُ ٱلْقَضايا وَٱلْمَسائِلُ عَلَىٰ بِساطِ ٱلْبَحْثِ، وَيُبْذَلُ ٱلْجُهْدُ فِى تَمْيِيزِ ٱلصَّوابِ مِنَ ٱلْخَطَإِ، يَحْتَرِمُ رَأْىَ كُلِّ مُجْتَهِدٍ سَواءٌ كانَ مُخْطِئًا أَوْ مُصِيبًا، وَٱلتَّحامُلُ عَلَى ٱلْمُجْتَهِدِ أَوْ تَجْرِيحُهُ مَسْلَكٌ فِى ٱلْعِلْمِ مَنْكُورٌ، وَخَطَؤُهُ لا يُبِيحُ ٱلنَّيْلَ مِنْ عِرْضِهِ، وَلا يُسَوِّغُ تَلَمُّسَ ٱلْمَعايِبِ لِلْبُرَآءِ وَٱلتَّشَهِّى بِإِلْصاقِ ٱلتُّهَمِ بِٱلنَّاسِ.

إِنَّ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ وَٱلدَّعْوَةِ أَنْ يَسْتَبِينُوا قِيمَةَ ما يَدْعُونَ إِلَيْهِ، فَلَيْسَ ٱلْحَقُّ حِكْرًا عَلَىٰ مَسْلَكٍ، وَٱلْخِلافُ فِى ٱلرَّأْيِ لا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرَ لَجاجَةٍ أَوْ غَضَبٍ، إِنَّ مِنْ شَأْنِ ٱلْمُجْتَهِدِينَ أَنْ يَخْتَلِفُوا، وَنَتائِجُ هٰذا ٱلْإِخْتِلافِ مَقْبُولَةٌ مِنْ غَيْرِ تَشَنُّجٍ وَلا تَعَصُّبٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْبَنِىَ عَلَىٰ هٰذا شِقاقٌ، أَوْ تَتَنامَىٰ بِسَبَبِهِ أَحْقادٌ، إِنَّ حَقَّ ٱلنَّقْدِ لا يَجْعَلُ ٱلْحَقَّ حِكْرًا عَلَى

ٱلنَّاقِدِ .

مِنَ ٱلْمُؤْسِفِ وَمِنَ ٱلْقُصُورِ أَنْ يَتَحَوَّلَ ٱلْخِلافُ فِي وِجْهاتِ ٱلنَّظَرِ إِلَىٰ عِنادٍ شَخْصِيٍّ وَٱنْتِصارٍ ذاتِيٍّ إِلَىٰ عَداءٍ ماحِقٍ ، وَمِنَ ٱلْمُبْكِي أَنْ يَبْدَأَ ٱلْخِلافُ فِي فَرْعِيَّةٍ صَغِيرَةٍ فَيَرْقَىٰ إِلَىٰ ٱلِٱتِّهامِ فِي أُصُولِ ٱلْإِسْلامِ وَقَواعِدِ ٱلدِّيانَةِ .

إِنَّ سُوءَ ٱلْأَدَبِ فِي ٱلْجَدَلِ وَٱلْمُناظَرَةِ يُسَوِّغُ لِأَصْحابِهِ ٱسْتِحْلالَ أَعْراضِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَلا سِيَّما ٱلْعُلَماءِ وَٱلدُّعاةِ ، فَيَتَحَوَّلُ ٱلِٱهْتِمامُ إِلَىٰ تَتَبُّعِ ٱلزَّلَّاتِ وَتَلَمُّسِ ٱلْعَثَراتِ ، فَيُتَّبَعُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلظَّنِّ مِنْ أَجْلِ أَنَّ قَلِيلَهُ كانَ صَوابًا .

إِنَّ ٱلدَّاعِيَ لِمِثْلِ هٰذِهِ ٱلْكَلِماتِ - أَيُّها ٱلْإِخْوَةُ فِي هٰذا ٱللِّقاءِ ٱلطَّيِّبِ - أَنَّ رِجالًا أَفْذاذًا وَعُلَماءَ أَجِلَّاءَ خَدَمُوا هٰذا ٱلدِّينَ ، وَبَلَغُوا فِي ٱلْعِلْمِ مَبْلَغًا جاهَدُوا فِي ٱللَّهِ وَكافَحُوا مِنْ أَجْلِ دِينِهِ ذَكاءً فِي ٱلْعُقُولِ وَزَكاةً فِي ٱلنُّفُوسِ ، أَثَرُهُمْ فِي ٱلنَّاسِ ظاهِرٌ وَقَدَمُ صِدْقِهِمْ فِي نُصْرَةِ ٱلْحَقِّ أَلَّا نَغْلُوَ فِيهِمْ ، فَنُبْرِزَ أَخْطاءَهُمْ وَنُعادِيَ مَنْ

خالَفَهُمْ، كَما أَنَّهُ لا يَسُوغُ أَنْ نَجْفُوَهُمْ فَنَسْتَحِلَّ أَعْراضَهُمْ وَنَتَنَكَّرَ لِجَلِيلِ أَعْمالِهِمْ وَنَزْدَرِيَ جُهُودَهُمْ، فَكُلُّ عالِمٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، وَفَرْقٌ بَيْنَ نَقْدِ عالِمٍ مِنْ عُلَماءِ ٱلْمُسْلِمِينَ لَهُ باعٌ فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلدَّعْوَةِ وَأَثَرٌ حَسَنٌ عَلَى ٱلْأُمَّةِ، وَبَيْنَ ٱلرَّدِّ عَلَىٰ مُلْحِدٍ مُتَجَنٍّ أَوْ كافِرٍ مُغْرِضٍ أَوْ مُسْتَشْرِقٍ حاقِدٍ.

مِنْ هٰذا ٱلْمُنْطَلَقِ وَهٰذِهِ ٱلنَّظْرَةِ - أَيُّها ٱلْإِخْوَةُ - تَكُونُ بِداياتُ هٰذا ٱلْحَدِيثِ، حَيْثُ نُبَيِّنُ ٱلْخِلافَ وَأَنْواعَهُ وَوُقُوعَهُ فِي حَياةِ ٱلنَّاسِ، ثُمَّ نُشِيرُ إِلَىٰ نَماذِجَ مِنْ أَدَبِ ٱلصَّحابَةِ وَٱلسَّلَفِ، وَنَخْلُصُ إِلَىٰ بَعْضِ ٱلْآدابِ فِي هٰذا ٱلْبابِ»[1]. اهـ.

---

(١) «أَدَبُ ٱلْخِلافِ» لِلشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ حُمَيْدٍ ص ٦-٨.

خُطْبَةُ ٱلْجُمُعَةِ بِتَأْيِيدِ ٱلْمَوْقِفِ

وَفِى خُطْبَةِ ٱلْجُمُعَةِ بِتارِيخِ ٢٨ جُمادَى ٱلْآخِرَةِ ١٤١٢ هـ بِٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرامِ، تَكَلَّمَ فَضِيلَةُ ٱلشَّيْخِ صالِحِ بْنِ حُمَيْدٍ فِى نَفْسِ ٱلْمَوْضُوعِ، مُؤَكِّدًا تَحْذِيرَهُ مِنَ ٱلْخِلافِ وَٱلشِّقاقِ، وَمُحَذِّرًا مِنْ هٰذِهِ ٱلْفِتْنَةِ ٱلْهَوْجاءِ فَقالَ:

«أَيُّها ٱلْإِخْوَةُ فِى ٱللَّهِ! عَقِيدَةُ ٱلتَّوْحِيدِ تَجْمَعُنا وَدارُ ٱلسَّلامِ تُؤْوِينا، وَلٰكِنْ مِنَ ٱلْمُحْزِنِ أَنْ يُحِسَّ ٱلْمُسْلِمُ ٱلْغَيُورُ بِغاراتٍ شَغْوائِيَّةٍ يَشُنُّها خُصُومُ ٱلْإِسْلامِ عَلَى ٱلْإِسْلامِ، وَلِأُمَّةِ ٱلْإِسْلامِ خُصُومٌ مِنَ ٱلدَّاخِلِ وَٱلْخارِجِ، أَغْراضٌ مُتَبايِنَةٌ وَأَهْواءٌ كامِنَةٌ وَراءَ ٱتِّساعِ هٰذِهِ ٱلْهَجَماتِ، وَإِلْحاحٌ مَقِيتٌ مِنْ مُسَعِّرِيها مَعَ كَثْرَةِ ٱلدُّخَلاءِ وَفُشُوِّ سُوقِ ٱلنِّفاقِ.

إِخْوَةَ ٱلْعَقِيدَةِ وَطُلَّابَ ٱلْحَقِيقَةِ، عَلَىٰ حِسابِ مَنْ تُسْتَثارُ ٱلْمَشاعِرُ ٱلْمَشْبُوهَةُ؟ إِنَّ أَصْحابَ ٱلْأَغْراضِ

وَٱلْأَهْواءِ لا يَجِدُونَ مُتَنَفَّسًا لِما فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا بِتَتَبُّعِ ٱلْهَفَواتِ وَٱسْتِغْلالِ ٱلزَّلَّاتِ وَتَلْفِيقِ ٱلْإِتِّهاماتِ، إِنَّ ٱلْهَوَىٰ ما خالَطَ شَيْئًا إِلَّا أَفْسَدَهُ، وَبِٱلْهَوَىٰ يَخْرُجُ ٱلعالِمُ مِنَ ٱلسُّنَّةِ إِلَى ٱلْبِدْعَةِ، وَبِٱلْهَوَىٰ يَقَعُ ٱلزَّاهِدُ ٱلْمُتَزَهِّدُ فِي ٱلرِّياءِ وَٱلسُّمْعَةِ، وبِٱلْهَوَىٰ يقَعُ ٱلحاكِمُ وَٱلْمَسْئُولُ فِي ٱلظُّلْمِ وَيَبْتَعِدُ عَنِ ٱلْحَقِّ وَٱلْحِكْمَةِ، وَإِذا زادَ ٱلْهَوَىٰ وَٱخْتَلَفَتِ ٱلنِّيَّاتُ، تَوَلَّدَتِ ٱلْجُرْأَةُ عَلَى ٱللَّهِ وَعَلَى ٱلنَّاسِ، وَفَشَتِ ٱلطُّعُونُ وَٱلْمَكائِدُ، وَنُصِبَتْ حَبائِلُ ٱلْمَكْرِ وَشِباكُ ٱلْخَدِيعَةِ، وَمِنْ ثَمَّ تَحْصُلُ ٱلْفُرْقَةُ وَٱلشَّحْناءُ، وَيَتَمَكَّنُ ٱلْأَعْداءُ وَيُذَلُّ أَهْلُ ٱلْإِسْلامِ.

إِنَّ أَهْلَ ٱلْأَهْواءِ يُرِيدُونَ فِي ٱلْأُمَّةِ ٱخْتِلافًا وَتَنافُرًا وَتَنابُذًا وَتَنابُزًا، يُرِيدُونَ مِنْها أَنْ تَذِلَّ بَعْدَ عِزِّها، وَتَنْحَطَّ بَعْدَ رِفْعَتِها، يُرِيدُونَ مِنْها أَنْ تَتَفَرَّقَ فِي دِينِها شِيَعًا وَمَذاهِبَ وَأَحْزابًا.

ثُمَّ قالَ: إِنَّ ٱلْإِخْتِلافَ فِي وِجْهاتِ ٱلنَّظَرِ بِذاتِهِ لا يُثِيرُ نِزاعًا وَلا يُوَلِّدُ تَنافُرًا، وَلٰكِنَّ صاحِبَ ٱلْهَوَىٰ وَٱلْمُعْجَبَ بِنَفْسِهِ يَجْعَلُ ٱلْحَقَّ فِي كِفَّةٍ وَنَفْسَهُ

ٱلْمَخْذُولَةَ فِي كِفَّةٍ، إِنَّ ٱلْخِلافَ ٱلْعِلْمِيَّ لا يُثِيرُ حَفائِظَ ٱلنُّفُوسِ وَمَكْنُوناتِ ٱلصُّدُورِ إِلَّا عِنْدَ مَنْ قَلَّ فِي دِينِ ٱللَّهِ فِقْهُهُ، وَضَعُفَتْ تَرْبِيَتُهُ وَساءَ قَصْدُهُ وَنِيَّتُهُ، أَمّا ٱلْعُلَماءُ ٱلرَّاسِخُونَ وَٱلدُّعاةُ ٱلصَّادِقُونَ وَٱلْكُتّابُ ٱلْمُخْلِصُونَ، فَأُولٰئِكَ عَنْ هٰذا مُبْعَدُونَ.

ذٰلِكُمْ أَيُّها ٱلْإِخْوَةُ لِأَنَّ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلْبَشَرِ أَنْ يَخْتَلِفُوا ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1].

ٱلْفُقَهاءُ وَٱلْعُلَماءُ وَٱلدُّعاةُ لَيْسُوا بِدْعًا مِنَ ٱلْبَشَرِ، وَلَيْسُوا بِخارِجِينَ عَنْ هٰذِهِ ٱلسُّنَّةِ، فَٱلْأَنْظارُ مُتَفاوِتَةٌ وَٱلْأَدِلَّةُ مُخْتَلِفَةٌ وَٱلِاسْتِنْتاجُ مُتَبايِنٌ، وَكُلُّ ذٰلِكَ خِلافٌ سائِغٌ وَوِجْهاتُ نَظَرٍ مُحْتَرَمَةٌ، وَمَنْ أَصابَ مِنْ أَهْلِ ٱلِاجْتِهادِ فَلَهُ أَجْرانِ، وَمَنْ أَخْطأَ فَلَهُ أَجْرٌ.

ثُمَّ قالَ: إِنَّ مِنْ عَلاماتِ ٱلرُّجُولَةِ وَدَلالاتِ ٱلْكَمالِ أَنَّكَ حِينَ تُخالِفُ ٱمْرَءًا فِي تَفْكِيرِهِ أَوْ تُعارِضُهُ فِي

---

(1) سورة هود: الآيتان ١١٨، ١١٩.

وِجْهاتِ نَظَرِهِ، لا يَنْطَوِي فُؤادُكَ عَلَىٰ كُرْهِهِ، أَوْ يَمْتَلِئُ صَدْرُكَ بِٱلْغَيْظِ مِنْهُ وَيَنْطَلِقُ لِسانُكَ بِتَجْرِيحِهِ وَٱتِّهامِهِ، إِنَّ مِنَ ٱلْمَعاصِي أَنْ تَرَىٰ كاتِبًا مُغْرِضًا أَوْ قارِئًا سَيِّئًا أَوْ مُسْتَمِعًا مُتَجَنِّيًا يُطالِعُ فِي سِيَرِ ٱلرِّجالِ، وَيَقْرَأُ فِي كُتُبِهِمْ وَيَسْتَمِعُ إِلَىٰ تَسْجِيلاتِهِمْ، فَلا يَسْتَوْقِفُهُ إِلَّا ما يُنْسَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ هَناتٍ، أَوْ يَزِلُّونَ فِيهِ مِنْ أَخْطاءٍ، أَمّا ما أَفاءَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَحامِدَ، وَما قَدَّمُوا لِلنّاسِ مِنْ حَقٍّ وَخَيْرٍ، فَلا يَأْبَهُونَ بِهِ وَلا يَذْكُرُونَهُ، إِنَّهُمْ كَجِيرانِ ٱلسُّوءِ، إِذا رَأَوْا خَيْرًا دَفَنُوهُ، وَإِذا رَأَوْا شَرًّا طارُوا بِهِ وَأَذاعُوهُ، وَإِنَّ ٱلتِماسَ ٱلْأَخْطاءِ وَتَحْرِيفَ ٱلْكَلِمِ وَتَأْوِيلَ ٱلنُّصُوصِ مِنْ أَجْلِ ٱلتَّشْهِيرِ وَٱلتَّنْقِيصِ، لا يُقِيمُ عِوَجًا وَلا يَرْفَعُ خَسِيسَةً، وَبِٱللَّهِ نَعُوذُ وَإِلَيْهِ نَلْتَجِئُ مِنْ أَقْوامٍ رائِدُهُمُ ٱلْهَوَىٰ وَقائِدُهُمُ ٱلشَّيْطانُ، وَحاكِمُهُمُ ٱلتَّعَصُّبُ وَمَرْكَبُهُمُ ٱلتَّجَنِّي، وَبِٱللَّهِ نَسْتَغِيثُ مِنْ فِئَةٍ تَتَلَمَّسُ ٱلْعَيْبَ لِلْبُرَآءِ وَٱلْخَطَأَ لِلْمُصِيبِينَ وَٱلذَّنْبَ لِمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ، إِنَّ ٱلْمُؤْمِنَ ٱلْحَقَّ وَرَجُلَ ٱلدَّعْوَةِ ٱلصِّدْقَ، هُوَ ٱلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ فِي مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْمَقاماتِ وَيَثْبُتُ عِنْدَ هٰذِهِ

ٱلْمُنْعَطَفاتِ، يَمْلِكُ زِمامَ لِسانِهِ وَفِكْرِهِ وَقَلَمِهِ مِنْ أَنْ يَفْلِتَ بِسَبَبِ كَلِمَةٍ طائِشَةٍ أَوْ وِشايَةٍ حاقِدَةٍ».

(ٱنْتُهِيَ مِنْ تَسْجِيلِ ٱلْخُطْبَةِ).

ٱلْمَمْلَكَةُ لَيْسَتْ مَصْدَرًا لِلتَّكْفِيرِ أَوِ ٱلْهُجُومِ وَالتَّجْرِيحِ

وَيُعْرَفُ بِما سَبَقَ مِنَ ٱلْأَقْوالِ لِكِبارِ عُلَماءِ ٱلْمَمْلَكَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ ٱلسُّعُودِيَّةِ وَبِما هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ مَنْهَجِ وُلاةِ ٱلْأُمُورِ وَسِياسَتِهِمُ ٱلْحَكِيمَةِ ٱلرَّشِيدَةِ وَتَصْرِيحاتِهِمْ، وَأَقْوالِهِمْ وَطَرِيقَتِهِمُ ٱلواضِحَةِ ٱلْبَيِّنَةِ فِي تَعامُلِهِمْ مَعَ ٱلْأُمَّةِ مِنْ جَمِيعِ أَجْناسِ ٱلعالَمِ ٱلْإِسْلامِيِّ ٱلوافِدِينَ إِلَى ٱلْحَرَمَيْنِ لِلْحَجِّ وَٱلْعُمْرَةِ وَٱلْجِوارِ، أَوْ إِلَى عامَّةِ أَطْرافِ ٱلْمَمْلَكَةِ لِلْإِقامَةِ وَٱلتَّعَلُّمِ وَٱلْعَمَلِ وَٱلتِّجارَةِ، وَفِيهِمْ أَرْبابُ ٱلْمَذاهِبِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ وَٱلْمَشارِبِ ٱلْمُتَنَوِّعَةِ، وَٱلْأَفْكارِ ٱلْمُتَعَدِّدَةِ ٱلْمَنْسُوبُونَ لِلْإِسْلامِ تَحْتَ لِواءِ (لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ).

وَٱلْمَمْلَكَةُ - وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ - تَسْتَقْبِلُهُمْ بِصَدْرٍ رَحْبٍ، وَتُوَفِّرُ لَهُمْ كُلَّ أَمْنٍ وَأَمانٍ وَراحَةٍ وَٱطْمِئْنانٍ، وَتَحْفَظُ لَهُمْ حُقُوقَهُمُ ٱلْمَشْرُوعَةَ لَهُمْ وَتَدْعُوهُمْ إِلَى

ٱلْخَيْرِ وَإِلَى ٱلْتِزامِ مَنْهَجِ ٱلْحَقِّ وَٱلصَّوابِ، مَنْهَجِ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ وَٱلْجَماعَةِ وَٱلْبُعْدِ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَشَرٍّ وَفِتْنَةٍ وَبِدْعَةٍ وَضَلالَةٍ. وَذٰلِكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ بِوَسائِلِهِ ٱلْمَعْلُومَةِ وَطُرُقِهِ ٱلْمَرْسُومَةِ ٱلَّتِي تُناسِبُ كُلَّ آمِرٍ وَكُلَّ مَأْمُورٍ بِحَسَبِ دَرَجَتِهِ وَرُتْبَتِهِ وَحالَتِهِ.

وَكُلُّهُمْ يَعْلَمُونَ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي لا شَكَّ فِيهِ بِأَنَّ ٱلْمَمْلَكَةَ ٱلْعَرَبِيَّةَ ٱلسُّعُودِيَّةَ هِيَ دَوْلَةُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْإِيمانِ، وَهِيَ دَوْلَةُ ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، وَهِيَ دَوْلَةُ ٱلْعَقِيدَةِ ٱلسَّلَفِيَّةِ ٱلَّتِي قامَتْ بِها وَعَلَيْها وَلا تَزالُ بِفَضْلِ ٱللَّهِ كَذٰلِكَ.

وَلٰكِنَّ بَعْضَ ٱلْمُرْتَزِقَةِ يَسْتَغِلُّ هٰذا ٱلْجَوَّ فَيَأْتِي إِلَىٰ بِلادِنا هٰذِهِ لِيَتَعَلَّمَ وَيَدْرُسَ وَإِذا بِهِ يَنْقُلُ إِلَيْنا هُمُومَهُ وَغُمُومَهُ، وَمُشْكِلاتِهِ وَظُلُماتِهِ وَما يَدُورُ فِي بِلادِهِ مِنْ فِتَنٍ وَخِلافاتٍ، ثُمَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ بَعْضُ إِخْوانِنا فِي ٱلْجامِعاتِ ٱلسُّعُودِيَّةِ غَفْلَةً مِنْهُ (وَهِيَ غَفْلَةُ ٱلصَّالِحِينَ) وَٱسْتِغْفالًا مِنْ ذٰلِكَ ٱلْمُرْتَزِقِ ٱلْوافِدِ ٱلْغَرِيبِ..

أَقُولُ: يَسْتَجِيبُ لَهُ بَعْضُ إِخوانِنا ٱلْكِرامِ فِى بَعْضِ ٱلجامِعاتِ، فَيَفْتَحُ لَهُ ٱلْبابَ وَيَحْتَضِنُهُ فِى بَحْثِهِ أَوْ مَقالاتِهِ أَوْ رِسالَتِهِ ٱلْجامِعِيَّةِ ٱلَّتِى يَنالُ بِها أَعْلَى ٱلدَّرَجاتِ، وَأَعْظَمَ ٱلْمَراتِبِ وَٱلْأَوْسِمَةِ بِكِتابٍ يَهْجُمُ فِيهِ عَلَىٰ قَوْمِهِ، وَيَفْتَحُ ٱلنَّارَ عَلَىٰ أَهْلِ مَذْهَبِهِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهُمْ، وَقَدْ كانَ مَعَهُمْ.

فَهَذا إِفْرِيقِىٌّ مَثَلًا يَتَّخِذُ بِلادَنا وَجامِعاتِنا مَصْدَرًا لِيَفْتَحَ نارَ ٱلتَّكْفِيرِ وَٱلتَّضْلِيلِ عَلَىٰ جَماعَتِهِ ٱلْأَفارِقَةِ، وَمِثْلُهُ مَغْرِبِىٌّ أَوْ شِنْقِيطِىٌّ أَوْ سُودانِىٌّ أَوْ أَفْغانِىٌّ... إلخ.

وَهَذا أَشْعَرِىٌّ أَوْ ماتُرِيدِىٌّ يَلْجَأُ إِلَيْنا، وَإِذا بِهِ يَخْرُجُ عَلَى ٱلْأُمَّةِ بِصُكُوكِ ٱلتَّكْفِيرِ لِلْأَشاعِرَةِ وَٱلْماتُرِيدِيَّةِ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْعُمُومِ، وَفِيهِمْ كِبارُ رِجالُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْمَعْرِفَةِ مِنَ ٱلسَّلَفِ وَٱلْخَلَفِ أَمْثالَ ٱلنَّوَوِىِّ وَٱبْنِ حَجَرٍ.

وَهَذا حَنَفِىٌّ (هِنْدِىٌّ أَوْ أَفْغانِىٌّ) وَهَذا مالِكِىٌّ (مَغْرِبِىٌّ أَوْ شِنْقِيطِىٌّ) وَهٰذا شافِعِىٌّ (يَمانِى أَوْ مِصْرِىٌّ)

مِمَّنِ ٱحْتَضَنَتْهُمْ بِلادُنا وَٱسْتَقْبَلَتْهُمْ جامِعاتُنا وَأَنْفَقَتْ عَلَيْهِمْ دَوْلَتُنا ٱلْأَمْوالَ ٱلطَّائِلَةَ، نَراهُمْ يَخْرُجُونَ عَلَيْنا وَعَلَى ٱلْأُمَّةِ بِرَسائِلَ جامِعِيَّةٍ يَخْلَعُونَ فِيها أَلْقابَ ٱلتَّكْفِيرِ وَٱلتَّضْلِيلِ وَٱلتَّفْسِيقِ وَٱلتَّبْدِيعِ لِعُلَماءِ ٱلْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِها مِنَ ٱلحَنَفِيَّةِ أَوِ ٱلمالِكِيَّةِ أَوِ ٱلشَّافِعِيَّةِ أَوِ ٱلحَنابِلَةِ، وَهُمْ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِمْ وَمِنْ جَماعَتِهِمْ.

وَلا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ (هَذا ٱلمُؤَلِّفُ ٱلمُرْتَزِقُ ٱلوافِدُ ٱلدَّخِيلُ) مِنْهُمْ، بَلْ وَمِنَ ٱلعَناصِرِ ٱلْأَصِيلَةِ فِيهِمْ، وَكُلُّ ذٰلِكَ لِيَنالَ عِنْدَنا مَقامًا كَرِيمًا وَيَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا وَيَتَحَصَّلَ عَلَى ٱلشَّهادَةِ ٱلسَّامِيَةِ وَٱلدَّرَجَةِ ٱلعالِيَةِ مُتَقَرِّبًا وَمُتَزَلِّفًا مُسْتَغِلًّا ساحَتَنا ٱلْإِسْلامِيَّةَ وَعَقِيدَتَنا ٱلسَّلَفِيَّةَ، وَتَشْجِيعَ دَوْلَتِنا لِلْعُلَماءِ وَتَرْحِيبَها بِطُلَّابِ ٱلعِلْمِ وَٱلباحِثِينَ وَٱسْتِقْبالَها لِلَّاجِئِينَ وَٱللَّائِذِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ بِلادِهِمْ ظُلْمًا وَعُدْوانًا وَهُدِّدُوا فِي دِيارِهِمْ وَهُمْ بَيْنَ أَهْلِيهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَعْدَ ٱللَّهِ إِلَّا هٰذا ٱلبَلَدُ ٱلمِضْيافُ، وَهٰذِهِ ٱلسَّاحَةُ ٱلمُشَرَّفَةُ ٱلمُكَرَّمَةُ ٱلمُطَهَّرَةُ ٱلعَزِيزَةُ ٱلمَحْفُوظَةُ ٱلَّتِي لَمْ تَكُنْ وَلَنْ تَكُونَ أَبَدًا مَرْكَزًا

لِلْهُجُومِ وَٱلتَّجْرِيحِ أَوِ ٱلتَّكْفِيرِ وَٱلتَّضْلِيلِ وَٱلتَّبْدِيعِ وَٱلتَّفْسِيقِ، وَلَيْسَتْ مِنْبَرًا يَتَكَلَّمُ مِنْهُ أَرْبابُ ٱلْمَصالِحِ ٱلْخاصَّةِ وَٱلْمَنافِعِ ٱلشَّخْصِيَّةِ لِتَحْقِيقِ أَغْراضِهِمْ ٱلدَّنِيئَةِ مِنْ بابِ سَبِّ وَشَتْمِ أَصْحابِهِمْ وَأَهْلِ بِلادِهِمْ وَجَماعَةِ مَذْهَبِهِمْ بِدَعْوَىٰ مَحَبَّةِ ٱلسَّلَفِيَّةِ وَٱلِٱنْتِصارِ لَها وَٱلْجِهادِ مِنْ أَجْلِها!!! سُبْحانَكَ هٰذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ.

وَلْنَخْتِمْ هٰذا ٱلْمَبْحَثَ بِخُلاصَةِ مُحاضَرَةِ فَضِيلَةِ ٱلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صالِحِ بْنِ عُثَيْمِينٍ ٱلَّتِى أَلْقاها فِى ٱلْقَصِيمِ:

كَتَبَ مُحَمَّدُ ٱلطَّويانُ مِنْ بُرَيْدَةَ:

أَوْصَىٰ فَضِيلَةُ ٱلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صالِحِ ٱلْعُثَيْمِينِ طُلَّابَ كُلِّيَّتَيِ ٱلشَّرِيعَةِ وَأُصُولِ ٱلدِّينِ وَٱلْعُلُومِ ٱلْعَرَبِيَّةِ وَٱلِٱجْتِماعِيَّةِ بِٱلْقَصِيمِ بِتَقْوَى ٱللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِى طَلَبِ ٱلْعِلْمِ وَجَعْلِهِ خالِصًا لِوَجْهِ ٱللَّهِ تَعالَى، وَٱحْتِرامِ وَتَقْدِيرِ ٱلْعُلَماءِ وَٱلْأَساتِذَةِ، وَٱلْأَخْذِ مِنْ عِلْمِهِمْ وَٱلتَّأَسِّى بِأَخْلاقِهِمْ، وَحِرْصِهِمْ عَلَى ٱتِّباعِ هَدْيِ

ٱلرَّسُولِ ﷺ فِي جَمِيعِ ٱلْعَقِيدَةِ، وَأَنْ يَكُونَ تَصَرُّفُهُمُ ٱلدَّعَوِيُّ وَٱلْمَنْهَجِيُّ قائِمًا عَلَى ٱلْحِكْمَةِ وَٱلنَّظَرِ إِلَى ٱلْعَواقِبِ لِأَنَّ ٱلْعِبْرَةَ بِإِكْمالِ ٱلْغايَةِ لا بِٱلِٱبْتِداءِ.

جاءَ ذٰلِكَ فِي ٱلْمُحاضَرَةِ ٱلَّتِي أَلْقاها فَضِيلَتُهُ عَلَى ٱلطُّلَّابِ صَباحَ ٱلِٱثْنَيْنِ، حَذَّرَهُمْ فِيها مِنَ ٱلِٱنْحِرافِ وَراءَ ٱلتَّيَّاراتِ ٱلْفاسِدَةِ ٱلَّتِي تُخالِفُ ٱلشَّرْعَ ٱلْحَنِيفَ.

وَفِي نِهايَةِ ٱللِّقاءِ أَجابَ فَضِيلَتُهُ عَلَىٰ تَساؤُلاتِ وَٱسْتِفْساراتِ ٱلطُّلَّابِ حَيْثُ دارَ ٱلتَّساؤُلُ حَوْلَ ٱلتَّكْفِيرِ وَٱلتَّحَزُّبِ ٱلدِّينِيِّ، فَحَذَّرَ فَضِيلَتُهُ ٱلطُّلَّابَ وَكُلَّ مُسْلِمٍ مِنَ ٱلْوُقُوعِ فِي هٰذا ٱلدَّاءِ ٱلْعُضالِ، وَهُوَ ٱلتَّكْفِيرُ. وَذَكَرَ بَعْضَ ٱلْأَدِلَّةِ مِنَ ٱلْكِتابِ وَٱلسُّنَّةِ مُوَضِّحًا أَنَّ مَنْ حَكَمَ عَلَىٰ إِنْسانٍ بِٱلْكُفْرِ وَهُوَ لَيْسَ كَذٰلِكَ، فَيَكُونُ هُوَ ٱلْكافِرُ وَٱلْعِياذُ بِٱللَّهِ.

وَشَدَّدَ عَلَى ٱلنَّهْيِ مِنْ تَكْفِيرِ ٱلْحُكَّامِ وَٱلْعُلَماءِ، لِأَنَّ ٱلتَّعَدِّيَ عَلَىٰ هٰؤُلاءِ بِمِثْلِ هٰذا ٱلْقَوْلِ يَعُودُ ضَرَرُهُ عَلَى ٱلْأُمَّةِ بِكامِلِها. وَذٰلِكَ لِعِظَمِ ما يَحْمِلُونَهُ مِنَ ٱلْعِلْمِ

بِٱلنِّسْبَةِ لِلْعُلَماءِ، وَلِأَهَمِّيَّةِ ما يَقُومُ بِهِ ٱلحُكَّامُ مِنْ تَنْفِيذٍ لِأَحْكامِ ٱللَّهِ وَٱلقِيامِ عَلَىٰ شَرْعِهِ.

وَبِٱلنِّسْبَةِ لِلتَّحَزُّبِ، فَقَدْ ذَكَرَ فَضِيلَتُهُ أَنَّ ذٰلِكَ لَيْسَ مِنَ ٱلْإِسْلامِ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يُخالِفُ ٱلنُّصُوصَ ٱلشَّرْعِيَّةَ ٱلقاطِعَةَ ٱلَّتِي تَنُصُّ عَلَى ٱلِاجْتِماعِ وَٱلِاتِّفاقِ، وَأَنَّ ٱلطَّرِيقَ ٱلصَّحِيحَ هُوَ سُلُوكُ مَنْهَجِ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ وَٱلجَماعَةِ وَٱلسَّلَفِ ٱلصَّالِحِ بِدُونِ غُلُوٍّ وَلا تَفْرِيطٍ[1].

---

(١) ٱنْتَهَى. مِنْ جَرِيدَةِ عُكَاظٍ. ٱلعَدَدِ ١٠٨٤٧، ٱلثُّلاثاءَ ٤ مُحَرَّمٍ ١٤١٧هـ ٱلمُوافِقَ ٢١ مايُو ١٩٩٦م.

مِيزانُ ٱلْإِيمانِ

يُخْطِئُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ - أَصْلَحَهُمُ ٱللَّهُ - فِي فَهْمِ حَقِيقَةِ ٱلْأَسْبابِ ٱلَّتِي تُخْرِجُ صاحِبَها عَنْ دائِرَةِ ٱلْإِسْلامِ وَتُوجِبُ عَلَيْهِ ٱلْحُكْمَ بِٱلْكُفْرِ، فَتَراهُمْ يُسارِعُونَ إِلَى ٱلْحُكْمِ عَلَى ٱلْمُسْلِمِ بِٱلْكُفْرِ لِمُجَرَّدِ ٱلْمُخالَفَةِ حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ إِلَّا ٱلْقَلِيلُ، وَنَحْنُ نَتَلَمَّسُ لِهٰؤُلاءِ ٱلْعُذْرَ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ، وَنَقُولُ: لَعَلَّ نِيَّتَهُمْ حَسَنَةٌ مِنْ دافِعِ واجِبِ ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، وَلٰكِنْ فاتَهُمْ أَنَّ واجِبَ ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، لا بُدَّ فِي أَدائِهِ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ، وَإِذا ٱقْتَضَى ٱلْأَمْرُ ٱلْمُجادَلَةَ، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، كَما قالَ تَعالَى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ .. وَذٰلِكَ أَدْعَىٰ إِلَى ٱلْقَبُولِ، وَأَقْرَبُ لِلْحُصُولِ عَلَى ٱلْمَأْمُولِ، وَمُخالَفَتُهُ خَطَأٌ وَحَماقَةٌ.

فَإِذا دَعَوْتَ مُسْلِمًا يُصَلِّي، وَيُؤَدِّي فَرائِضَ ٱللَّهِ،

وَيَجْتَنِبُ مَحارِمَهُ، وَيَنْشُرُ دَعْوَتَهُ، وَيُشَيِّدُ مَساجِدَهُ، وَيُقِيمُ مَعاهِدَهُ، إِلَىٰ أَمْرٍ تَراهُ حَقًّا وَيَراهُ هُوَ عَلَىٰ خِلافِكَ وَٱلرَّأْيُ فِيهِ بَيْنَ ٱلعُلَماءِ مُخْتَلِفٌ قَدِيمًا إِقْرارًا وَإِنْكارًا فَلَمْ يُطاوِعْكَ فِي رَأْيِكَ فَرَمَيْتَهُ بِٱلْكُفْرِ لِمُجَرَّدِ مُخالَفَتِهِ لِرَأْيِكَ فَقَدْ قارَفْتَ عَظِيمَةً نَكْراءَ، وَأَتَيْتَ أَمْرًا إِدًّا نَهاكَ عَنْهُ ٱللَّهُ وَدَعاكَ إِلَى ٱلْأَخْذِ فِيهِ بِٱلحِكْمَةِ وَٱلحُسْنَىٰ.

قالَ ٱلعَلَّامَةُ ٱلدَّاعِي إِلَى ٱللَّهِ ٱلإِمامُ ٱلسَّيِّدُ أَحْمَدُ مَشْهُورِ ٱلحَدَّادُ: «وَقَدِ ٱنْعَقَدَ ٱلْإِجْماعُ عَلَىٰ مَنْعِ تَكْفِيرِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ ٱلقِبْلَةِ، إِلَّا بِما فِيهِ نَفْيُ ٱلصَّانِعِ ٱلقادِرِ جَلَّ وَعَلا، أَوْ شِرْكٌ جَلِيٌّ لا يَحْتَمِلُ ٱلتَّأْوِيلَ، أَوْ إِنْكارُ ٱلنُّبُوَّةِ، أَوْ إِنْكارُ ما عُلِمَ مِنَ ٱلدِّينِ بِٱلضَّرُورَةِ، أَوْ إِنْكارُ مُتَواتِرٍ أَوْ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ ضَرُورَةً مِنَ ٱلدِّينِ.

وَٱلمَعْلُومُ مِنَ ٱلدِّينِ ضَرُورَةً كَٱلتَّوْحِيدِ وَٱلنُّبُوّاتِ وَخَتْمِ ٱلرِّسالَةِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَٱلبَعْثِ فِي ٱليَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلحِسابِ وَٱلجَزاءِ وَٱلجَنَّةِ وَٱلنَّارِ يَكْفُرُ جاحِدُهُ، وَلا يُعْذَرُ أَحَدٌ مِنَ ٱلمسلِمِينَ بِٱلجَهْلِ بِهِ، إِلَّا مَنْ كانَ حَدِيثَ عَهْدٍ فِي ٱلْإِسْلامِ، فَإِنَّهُ يُعْذَرُ إِلَىٰ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ،

فَإِنَّهُ لاَ يُعْذَرُ بَعْدَهُ .

وَٱلْمُتَواتِرُ : ٱلْخَبَرُ ٱلَّذِى يَرْوِيهِ جَمْعٌ يُؤْمَنُ تَواطُؤُهُمْ عَلَى ٱلْكَذِبِ عَنْ جَمْعٍ مِثْلِهِمْ، إِمَّا مِنْ حَيْثُ ٱلْإِسْنادُ كَحَدِيثِ :

«مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ» .

وَإِمَّا مِنْ حَيْثُ ٱلطَّبَقَةُ كَتَواتُرِ ٱلْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ تَواتَرُ عَلَى ٱلْبَسِيطَةِ شَرْقًا وَغَرْبًا دَرْسًا وَتِلاوَةً وَحِفْظًا، وَتَلَقَّاهُ ٱلْكافَّةُ عَنِ ٱلْكافَّةِ طَبَقَةً عَنْ طَبَقَةٍ، فَلا يَحْتاجُ إِلَىٰ إِسْنادٍ .

وَقَدْ يَكُونُ تَواتُرَ عَمَلٍ مُتَوارَثٍ، كَتَواتُرِ ٱلْعِلْمِ عَلَىٰ شَىْءٍ مِنْ عَصْرِ ٱلنُّبُوَّةِ إِلَى ٱلْآنَ، أَوْ تَواتُرَ عِلْمٍ كَتَواتُرِ ٱلْمُعْجِزاتِ، فَإِنَّ مُفْرَداتِها وَإِنْ كانَ بَعْضُها آحادًا لٰكِنَّ ٱلْقَدْرَ ٱلْمُشْتَرَكَ مِنْها مُتَواتِرٌ قَطْعًا فِى عِلْمِ كُلِّ إِنْسانٍ مُسْلِمٍ .

وَإِنَّ ٱلْحُكْمَ عَلَى ٱلْمسْلِمِ بِٱلْكُفْرِ فِى غَيْرِ هٰذِهِ ٱلْمَواطِنِ ٱلَّتِى بَيَّنَّاها أَمْرٌ خَطِيرٌ، وَفِى ٱلْحَدِيثِ «إِذا قالَ

ٱلرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يا كافِرُ، فَقَدْ باءَ بِها أَحَدُهُما»[1].

وَلا يَصِحُّ صُدُورُهُ إِلَّا مِمَّنْ عَرَفَ بِنُورِ ٱلشَّرِيعَةِ مَداخِلَ ٱلْكُفْرِ وَمَخارِجَهُ، وَٱلْحُدُودَ ٱلْفاصِلَةَ بَيْنَ ٱلْكُفْرِ وَٱلْإِيمانِ فِى حُكْمِ ٱلشَّرِيعَةِ ٱلْغَرَّاءِ.

فَلا يَجُوزُ لِأَىِّ إِنْسانٍ ٱلرَّكْضُ فِى هٰذا ٱلْمَيْدانِ وَٱلتَّكْفِيرُ بِٱلْأَوْهامِ وَٱلْمَظانِّ دُونَ تَثَبُّتٍ وَيَقِينٍ وَعِلْمٍ مَتِينٍ، وَإِلَّا ٱخْتَلَطَ سَيْلُها بِٱلْأَبْطَحِ وَلَمْ يَبْقَ مُسْلِمٌ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ إِلَّا ٱلْقَلِيلُ.

كَما لا يَجُوزُ ٱلتَّكْفِيرُ بِٱرْتِكابِ ٱلْمَعاصِى مَعَ ٱلْإِيمانِ وَٱلْإِقْرارِ بِٱلشَّهادَتَيْنِ، وَفِى ٱلْحَدِيثِ عَنْ أَنَسٍ ﵁ قالَ ﷺ: «ثَلاثٌ مِنْ أَصْلِ ٱلْإِيمانِ: ٱلْكَفُّ عَمَّنْ قالَ: لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ لا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ وَلا نُخْرِجُهُ عَنِ ٱلْإِسْلامِ بِٱلْعَمَلِ، وَٱلْجِهادُ ماضٍ مُنْذُ بَعَثَنِى ٱللَّهُ إِلَىٰ أَنْ يُقاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي ٱلدَّجَّالَ لا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جائِرٍ، وَلا عَدْلُ

---

(١) رَواهُ ٱلْبُخارِيُّ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ.

عادِلٍ، وَٱلْإِيمانُ بِٱلْأَقْدارِ»[1].

وَكانَ إِمامُ ٱلحَرَمَيْنِ يَقُولُ: لَوْ قِيلَ لَنا: فَصِّلُوا ما يَقْتَضِي ٱلتَّكْفِيرَ مِنَ ٱلعِباراتِ مِمَّا لا يَقْتَضِي، لَقُلْنا: هٰذا طَمَعٌ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ، فَإِنَّ هٰذا بَعِيدُ ٱلمَدْرَكِ وَعِرُ ٱلمَسْلَكِ يُسْتَمَدُّ مِنْ أُصُولِ ٱلتَّوْحِيدِ، وَمَنْ لَمْ يَحْظَ بِنِهاياتِ ٱلحَقائِقِ، لَمْ يَتَحَصَّلْ مِنْ دَلائِلِ ٱلتَّكْفِيرِ عَلَىٰ وَثائِقَ.

لِذٰلِكَ نُحَذِّرُ كُلَّ ٱلتَّحْذِيرِ مِنَ ٱلمُجازَفَةِ بِٱلتَّكْفِيرِ فِي غَيْرِ ٱلمَواطِنِ ٱلسَّابِقِ بَيانُها، لِأَنَّهُ جَدُّ خَطِيرٍ، وَٱللَّهُ ٱلهادِي إِلَىٰ سَواءِ ٱلسَّبِيلِ وَإِلَيْهِ ٱلمَصِيرُ[2]». اهـ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو داوُدَ.

(٢) شَرْحُ أَساسِ ٱلعَقِيدَةِ ٱلإِسْلامِيَّةِ (لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) لِلْإِمامِ أَحْمَدَ ٱلمَشْهُورِ.

سِبابُ ٱلْمُسْلِمِ: فُسُوقٌ . . وَقِتالُهُ: كُفْرٌ

ٱعْلَمْ أَنَّ كَراهَةَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَمُقاطَعَتَهُمْ وَمُدابَرَتَهُمْ مُحَرَّمَةٌ، وَكانَ سِبابُ ٱلْمُسْلِمِ فُسُوقًا وَقِتالُهُ كُفْرًا إِذا ٱسْتُحِلَّ.

وَكَفَىٰ رادِعًا فِى هٰذا ٱلبابِ حَدِيثُ خالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ ﷺ فِى سَرِيَّتِهِ إِلَىٰ بَنِى جَذِيمَةَ يَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْإِسْلامِ، فَلَمَّا ٱنْتَهَىٰ إِلَيْهِمْ تَلَقَّوْهُ، فَقالَ لَهُمْ: أَسْلِمُوا، فَقالُوا: نَحْنُ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ، قالَ: فَأَلْقُوا سِلاحَكُمْ وَٱنْزِلُوا، قالُوا: لا وَٱللَّهِ، ما بَعْدَ وَضْعِ ٱلسِّلاحِ إِلَّا ٱلْقَتْلُ، ما نَحْنُ بِآمِنِينَ لَكَ وَلا لِمَنْ مَعَكَ، قالَ خالِدٌ: فَلا أَمانَ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَنْزِلُوا، فَنَزَلَتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ وَتَفَرَّقَتْ بَقِيَّةُ ٱلْقَوْمِ.

وَفِى رِوايَةٍ: ٱنْتَهَىٰ خالِدٌ إِلَى ٱلْقَوْمِ فَتَلَقَّوْهُ، فَقالَ لَهُمْ: ما أَنْتُمْ؟ أَىْ: أَمُسْلِمُونَ أَمْ كُفارٌ؟ قالُوا: مُسْلِمُونَ، قَدْ صَلَّيْنا وَصَدَّقْنا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبَنَيْنا ٱلْمَساجِدَ فِى ساحَتِنا وَأَذَّنّا فِيها.

وَفِى لَفْظٍ: لَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنا، فَقالُوا: صَبَأْنا، صَبَأْنا، قالَ: فَما بالُ ٱلسِّلاحِ عَلَيْكُمْ؟ قالُوا: إِنَّ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمٍ مِنَ ٱلعَرَبِ عَداوَةً، فَخِفْنا أَنْ تَكُونُوا هُمْ فَأَخَذْنا ٱلسِّلاحَ، قالَ فَضَعُوا ٱلسِّلاحَ فَوَضَعُوا، فَقالَ، ٱسْتَأْسِرُوا، فَأَمَرَ بَعْضَهُمْ فَكَتَّفَ بَعْضًا وَفَرَّقَهُمْ فِى أَصْحابِهِ، فَلَمَّا كانَ ٱلسَّحَرُ نادَىٰ مُنادِى خالِدٍ: مَنْ كانَ مَعَهُ أَسِيرٌ فَلْيَقْتُلْهُ، فَقَتَلَ بَنُو سُلَيْمٍ مَنْ كانَ مَعَهُمْ وَٱمْتَنَعَ ٱلْمُهاجِرُونَ وَٱلْأَنْصارُ ﷺ، وَأَرْسَلُوا أَسْراهُمْ. فَلَمَّا بَلَغَ ٱلنَّبِىَّ ﷺ ما فَعَلَ خالِدٌ، قالَ: «ٱللَّهُمَّ إِنِّى أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خالِدٌ»، قالَ ذٰلِكَ مَرَّتَيْنِ.

وَقَدْ يُقالُ: إِنَّ خالِدًا فَهِمَ أَنَّهُمْ قالُوا ذٰلِكَ عَلَىٰ سَبِيلِ ٱلْأَنَفَةِ وَعَدَمِ ٱلِانْقِيادِ إِلَى ٱلإِسْلامِ، وَإِنَّما أَنْكَرَ عَلَيْهِ ﷺ ٱلعَجَلَةَ وَعَدَمَ ٱلتَّثَبُّتِ فِى أَمْرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ ٱلْمُرادَ مِنْ قَوْلِهِمْ صَبَأْنا، فَخالِدٌ مَعْذُورٌ كَيْفَ وَقَدْ قالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ: «نِعْمَ عَبْدُ ٱللَّهِ أَخُو ٱلعَشِيرَةِ خالِدُ بْنُ ٱلوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ ٱللَّهِ سَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَى ٱلكافِرِينَ وَٱلْمُنافِقِينَ».

وَكَذٰلِكَ قِصَّةُ أُسامَةَ بْنِ زَيْدٍ حِبِّ رَسُولِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ حِبِّهِ فِيما رَواهُ عَنْهُ ٱلْبُخارِيُّ عَنْ أَبِي ظَبْيانَ قالَ: سَمِعْتُ أُسامَةَ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ: بَعَثَنا رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ إِلَى ٱلْحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنا ٱلْقَوْمَ فَهَزَمْناهُمْ وَلَحِقْتُ أَنا وَرَجُلٌ مِنَ ٱلْأَنْصارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِيناهُ قالَ: لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، فَكَفَّ ٱلْأَنْصارِيُّ عَنْهُ، وَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّىٰ قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنا بَلَغَ ٱلنَّبِيَّ ﷺ فَقالَ: «يا أُسامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قالَ لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ»، قُلْتُ: كانَ مُتَعَوِّذًا، فَما زالَ يُكَرِّرُها حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ.

وَفِي رِوايَةٍ أُخْرَىٰ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ قالَ لَهُ: «أَلا شَقَقْتَ عَلَىٰ قَلْبِهِ، فَتَعْلَمَ أَصادِقٌ أَمْ كاذِبٌ؟».

قالَ أُسامَةُ: لا أُقاتِلُ أَحَدًا يَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ.

وَقَدْ سُئِلَ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَنِ ٱلْمُخالِفِينَ لَهُ مِنَ ٱلْفِرَقِ أَكُفَّارٌ هُمْ؟ قالَ: لا، إِنَّهُمْ مِنَ ٱلْكُفْرِ فَرُّوا. فَقِيلَ: أَمُنافِقُونَ هُمْ؟ فَقالَ: لا، إِنَّ ٱلْمُنافِقِينَ لا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ

إِلَّا قَلِيلًا، وَهٰؤُلاءِ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ كَثِيرًا، فَقِيلَ: أَيُّ شَيْءٍ هُمْ؟ قالَ: قَوْمٌ أَصابَتْهُمُ ٱلْفِتْنَةُ فَعَمُوا وَصَمُّوا.

ജ്ഞ ജ്ഞ

أَقْوالُ ٱلسَّلَفِ وَبَعْضِ ٱلْعُلَماءِ فِى ٱلتَّحْذِيرِ مِنَ ٱلتَّكْفِيرِ

رَوَىٰ أَبُو يَعْلَىٰ وَٱلطَّبَرانِيُّ فِى «ٱلْكَبِيرِ» أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ جابِرًا ﷺ: هَلْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ مُشْرِكًا؟ قالَ: مَعاذَ ٱللَّهِ، فَفَزِعَ لِذٰلِكَ. قالَ: هَلْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَحَدًا مِنْهُمْ كافِرًا؟ قالَ: لا.

وَرَوَىٰ أَبُو يَعْلَىٰ عَنْ يَزِيدَ ٱلرَّقاشِيِّ أَنَّهُ قالَ لِأَنَسِ بْنِ مالِكٍ: يا أَبا حَمْزَةَ؛ إِنَّ ناسًا يَشْهَدُونَ عَلَيْنا بِٱلْكُفْرِ وَٱلشِّرْكِ قالَ: أُولٰئِكَ شَرُّ ٱلْخَلْقِ وَٱلْخَلِيقَةِ[1].

قالَ ٱلْإِمامُ أَحْمَدُ: إِنَّ ٱلْإِيجابَ وَٱلتَّحْرِيمَ وَٱلثَّوابَ وَٱلْعِقابَ وَٱلتَّكْفِيرَ وَٱلتَّفْسِيقَ هُوَ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ فِى هَذا حُكْمٌ، وَإِنَّما عَلَى ٱلنَّاسِ إِيجابُ ما أَوْجَبَهُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَحْرِيمُ ما حَرَّمَهُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ،

---

(١) مَجْمَعُ ٱلزَّوائِدِ ١ : ١٠٧.

وَتَصْدِيقُ ما أَخْبَرَ ٱللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ[1].

وقالَ ٱلطَّحاوِيُّ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - هُمْ أَهْلُ ٱلْقِبْلَةِ: وَلا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلا بِشِرْكٍ وَلا بِنِفاقٍ ما لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ، وَنَذَرُ سَرائِرَهُمْ إِلَى ٱللَّهِ تَعالَىٰ، وَذٰلِكَ لِأَنَّا قَدْ أُمِرْنا بِٱلْحُكْمِ بِٱلظَّاهِرِ، وَنُهِينا عَنِ ٱلظَّنِّ وَٱتِّباعِ ما لَيْسَ لَنا بِهِ مِنْ عِلْمٍ[2].

وقالَ ٱلْغَزالِيُّ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: وَٱلَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَمِيلَ ٱلْمُحَصِّلُ إِلَيْهِ: ٱلِاحْتِرازُ مِنَ ٱلتَّكْفِيرِ ما وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَإِنَّ ٱسْتِباحَةَ ٱلدِّماءِ وَٱلْأَمْوالِ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ إِلَى ٱلْقِبْلَةِ ٱلْمُصَرِّحِينَ بِقَوْلِ: (لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ) خَطَأٌ، وَٱلْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كافِرٍ فِي ٱلْحَياةِ أَهْوَنُ مِنَ ٱلْخَطَإِ فِي سَفْكِ مِحْجَمَةٍ مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ[3].

---

(١) مَجْمُوعُ ٱلْفَتاوَىٰ ٥ : ٥٥٤ .

(٢) ٱلْعَقِيدَةُ ٱلطَّحاوِيَّةُ ص٤٢٧ .

(٣) ٱلِاقْتِصادُ فِي ٱلِاعْتِقادِ ص١٥٧ .

وَقالَ ٱبْنُ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: ٱلْكُفْرُ مِنَ ٱلْأَحْكامِ ٱلشَّرْعِيَّةِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ خالَفَ شَيْئًا عُلِمَ بِنَظَرِ ٱلْعَقْلِ يَكُونُ كافِرًا، وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ جَحَدَ بَعْضَ صَرائِحِ ٱلْعُقُولِ، لَمْ يُحْكَمْ بِكُفْرِهِ حَتَّىٰ يَكُونَ قَوْلُهُ كُفْرًا فِى ٱلشَّرِيعَةِ[1].

وقالَ أَبُو بَطِينٍ: وَبِٱلْجُمْلَةِ؛ فَيَجِبُ عَلَىٰ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ أَنْ لا يَتَكَلَّمَ فِى هٰذِهِ ٱلْمَسْأَلَةِ إِلَّا بِعِلْمٍ وَبُرْهانٍ مِنَ ٱللَّهِ، وَلْيَحْذَرْ مِنْ إِخْراجِ رَجُلٍ مِنَ ٱلْإِسْلامِ لِمُجَرَّدِ فَهْمِهِ وَٱسْتِحْسانِ عَقْلِهِ، فَإِنَّ إِخْراجَ رَجُلٍ مِنَ ٱلْإِسْلامِ أَوْ إِدْخالَهُ فِيهِ أَعْظَمُ أُمُورِ ٱلدِّينِ، وَقَدْ كُفِينا بَيانَ هٰذِهِ ٱلْمَسْأَلَةِ كَغَيْرِها، بَلْ حُكْمُها فِى ٱلْجُمْلَةِ أَظْهَرُ أَحْكامِ ٱلدِّينِ، فَٱلْواجِبُ عَلَيْنا ٱلْإِتِّباعُ وَتَرْكُ ٱلْإِبْتِداعِ[2].

فَٱتَّضَحَ لَنا مِمَّا سَبَقَ مِنْ نُصُوصِ ٱلْكِتابِ وَٱلسُّنَّةِ، وَأَقْوالِ ٱلصَّحابَةِ، وَمَنْ سارَ عَلَىٰ طَرِيقِ ٱلسَّلَفِ مِنَ

---

(١) مَجْمُوعُ ٱلْفَتاوَىٰ ١٢ : ٥٢٥ .

(٢) رِسالَةُ ٱلْكُفْرُ ٱلَّذِى يُعْذَرُ صاحِبُهُ بِٱلْجَهْلِ وَحُكْمُ مَنْ يُكَفِّرُ غَيْرَهُ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، لِأَبِى بَطِينٍ ص٢١ .

ٱلْعُلَماءِ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ وَٱلْمُتَأَخِّرِينَ، أَنَّ ٱلْحُكْمَ عَلَى ٱلْمُسْلِمِ بِٱلْخُرُوجِ عَنْ دِينِ ٱلْإِسْلامِ، أَوِ ٱلدُّخُولِ فِي ٱلْكُفْرِ لا يَنْبَغِي أَنْ يُقْدِمَ عَلَيْهِ مُسْلِمٌ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ إِلَّا بِبُرْهانٍ أَوْضَحَ مِنْ شَمْسِ ٱلنَّهارِ. وَحَتَّىٰ مَنْ ثَبَتَ لَنا كُفْرُهُ بِبُرْهانٍ واضِحٍ، فَرَأَيْنا مِنْهُ كُفْرًا بَواحًا، فَإِنَّا نَحْكُمُ عَلَيْهِ بِٱلْكُفْرِ مَعَ ٱحْتِياطٍ وَتَحَرُّزٍ فِي ٱللَّفْظِ، فَلا نَتَعَدَّى ٱلْإِطْلاقَ ٱلَّذِي أَطْلَقَهُ ٱلْكِتابُ وَٱلسُّنَّةُ، وَلا نَتَعَدَّىٰ مَنْهَجَ ٱلسَّلَفِ فِي ٱلتَّكْفِيرِ، فَقَدْ كانُوا يَعْرِضُونَ ما ظَهَرَ مِنَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ ما جاءَ فِي ٱلْكِتابِ وَٱلسُّنَّةِ، فَإِنْ وَجَدُوا فِيهِما إِطْلاقَ ٱلْكُفْرِ أَطْلَقُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَجِدُوا تَوَقَّفُوا وَحَكَمُوا عَلَى ٱلْقائِلِ أَوِ ٱلْفاعِلِ بِٱلْخَطَإِ وَٱلذَّنْبِ ٱلْعَظِيمِ، ثُمَّ إِنَّهُ يُسْتَفْسَرُ هٰذا ٱلْقائِلُ أَوِ ٱلْفاعِلُ عَنْ مُرادِهِ، فَإِنِ ٱتَّضَحَ أَنَّهُ يُرِيدُ ٱلْكُفْرَ حُكِمَ عَلَيْهِ بِهِ، وَإِلَّا ٱكْتُفِيَ بِإِطْلاقِ ٱلْخَطَإِ أَوِ ٱلْمُخالَفَةِ أَوِ ٱلْفِسْقِ عَلَيْهِ دُونَ ٱلتَّكْفِيرِ ٱلِاعْتِقادِيِّ[1].

---

(١) ٱنظُرْ هٰذِهِ ٱلنُّصُوصَ وَٱلْخُلاصَةَ فِي رِسالَةِ: «ضَوابِطُ ٱلتَّكْفِيرِ» لِلدُّكْتُورِ حَسَنٍ ٱلْعَواجِي، بِتَصَرُّفٍ.

مَقامُ ٱلْخالِقِ . .وَمَقامُ ٱلْمَخْلُوقِ

إِنَّ ٱلْفَرْقَ بَيْنَ مَقامِ ٱلْخالِقِ وَٱلْمَخْلُوقِ هُوَ ٱلْحَدُّ ٱلْفاصِلُ بَيْنَ ٱلْكُفْرِ وَٱلْإِيمانِ، وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مَنْ خَلَطَ بَيْنَ ٱلْمَقامَيْنِ فَقَدْ كَفَرَ - وَٱلْعِياذُ بِٱللَّهِ - .

وَلِكُلِّ مَقامٍ حُقُوقُهُ ٱلْخاصَّةِ، وَلٰكِنْ هُناكَ أُمُورٌ تَرِدُ فِي هَذا ٱلْبابِ وَخُصُوصًا فِيما يَتَعَلَّقُ بِٱلنَّبِيِّ ﷺ وَخَصائِصِهِ ٱلَّتِي تُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ ٱلْبَشَرِ وَتَرْفَعُهُ عَلَيْهِمْ، هٰذِهِ ٱلْأُمُورُ قَدْ تَشْتَبِهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلنَّاسِ لِقِصَرِ عُقُولِهِمْ وَضَعْفِ تَفْكِيرِهِمْ وَضِيقِ نَظَرِهِمْ وَسُوءِ فَهْمِهِمْ، فَيُبادِرُونَ إِلَى ٱلْحُكْمِ بِٱلْكُفْرِ عَلَىٰ أَصْحابِها وَإِخْراجِهِمْ عَنْ دائِرَةِ ٱلْإِسْلامِ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ فِي ذٰلِكَ تَخْلِيطًا بَيْنَ مَقامِ ٱلْخالِقِ وَٱلْمَخْلُوقِ، وَرَفْعًا لِمَقامِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ مَقامِ ٱلْأُلُوهِيَّةِ، وَإِنَّنا نَبْرَأُ إِلَى ٱللَّهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ مِنْ ذٰلِكَ .

وَإِنَّنا بِفَضْلِ ٱللَّهِ تَعالَىٰ نَعْرِفُ ما يَجِبُ لِلَّهِ تَعالَىٰ، وَما يَجِبُ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَنَعْرِفُ ما هُوَ مَحْضُ حَقٍّ لِلَّهِ تَعالَىٰ، وَما هُوَ مَحْضُ حقٍّ لِرَسُولِهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ وَلا إِطْراءٍ يَصِلُ إِلَى حَدِّ وَصْفِهِ بِخَصائِصِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ وٱلأُلوهِيَّةِ فِي ٱلْمَنْعِ وَٱلْعَطاءِ وَٱلنَّفْعِ وَٱلضُّرِّ ٱلِاسْتِقْلالِيِّ (دُونَ ٱللَّهِ تَعالَىٰ) وَٱلسُّلْطَةِ ٱلْكامِلَةِ وَٱلْهَيْمَنَةِ ٱلشَّامِلَةِ وَٱلْخَلْقِ وَٱلْمُلْكِ وَٱلتَّدْبِيرِ وَٱلتَّفَرُّدِ بِالْكَمالِ وَٱلْجَلالِ وَٱلتَّقْدِيسِ وَٱلتَّفَرُّدِ بِٱلْعِبادَةِ بِمُخْتَلَفِ أَنْواعِها وَأَحْوالِها وَمَراتِبِها.

أَمَّا ٱلْغُلُوُّ ٱلَّذِي يَعْنِي ٱلتَّغالِيَ فِي مَحَبَّتِهِ وَطاعَتِهِ وَٱلتَّعَلُّقِ بِهِ، فَهٰذا مَحْبُوبٌ وَمَطْلُوبٌ كَما جاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ: «لا تُطْرُونِي كَما أَطْرَتِ ٱلنَّصارَى ٱبْنَ مَرْيَمَ»..

وَٱلْمَعْنَىٰ: أَنَّ إِطْراءَهُ وَٱلتَّغالِيَ فِيهِ وَٱلثَّناءَ عَلَيْهِ بِما سِوَىٰ ذٰلِكَ هُوَ مَحْمُودٌ، وَلَوْ كانَ مَعْناهُ غَيْرَ ذٰلِكَ لَكانَ ٱلْمُرادُ هُوَ ٱلنَّهْيَ عَنْ إِطْرائِهِ وَمَدْحِهِ أَصْلًا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هٰذا لا يَقُولُهُ أَجْهَلُ جاهِلٍ فِي ٱلْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ ٱللَّهَ

تَعالَىٰ عَظَّمَ ٱلنَّبِيَّ ﷺ وَأَمَرَ بِتَعْظِيمِهِ فِى ٱلْقُرْآنِ بِأَعْلَىٰ أَنْواعِ ٱلتَّعْظِيمِ ، فَيَجِبُ عَلَيْنا أَنْ نُعَظِّمَ مَنْ عَظَّمَهُ ٱللَّهُ تَعالَىٰ وَأَمَرَ بِتَعْظِيمِهِ . . نَعَمْ يَجِبُ عَلَيْنا أَنْ لا نَصِفَهُ بِشَىْءٍ مِنْ صِفاتِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ ، وَرَحِمَ ٱللَّهُ ٱلْقائِلَ حَيْثُ قالَ :

دَعْ مـا ٱدَّعَتْهُ ٱلنَّصـارَىٰ فِى نَبِيِّهِمُ

وَٱحْكُمْ بِما شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَٱحْتَكِمِ

فَلَيْسَ فِى تَعْظِيمِهِ ﷺ بِغَيْرِ صِفاتِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ شَىْءٌ مِنَ ٱلْكُفْرِ وَٱلْإِشْراكِ ، بَلْ ذٰلِكَ مِنْ أَعْظَمِ ٱلطَّاعاتِ وَٱلْقُرُباتِ ، وَهٰكَذا كُلُّ مَنْ عَظَّمَهُمُ ٱللَّهُ تَعالَىٰ كَٱلْأَنْبِياءِ وَٱلْمُرْسَلِينَ صَلَواتُ ٱللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَكَٱلْمَلائِكَةِ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَداءِ وَٱلصَّالِحِينَ .

قالَ ٱللَّهُ تَعالَىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ .

وَقالَ تَعالَىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ .

وَمِنْ ذٰلِكَ ٱلْكَعْبَةُ ٱلْمُعَظَّمَةُ وَٱلْحَجَرُ ٱلْأَسْوَدُ، وَمَقامُ إِبْراهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ، فَإِنَّها أَحْجارٌ، وَأَمَرَنا ٱللَّهُ تَعالَىٰ بِتَعْظِيمِها لِأَنَّها مِنَ ٱلشَّعائِرِ وَٱلْحُرُماتِ ٱلْمَنْصُوصِ عَلَيْها كَما جاءَ فِي ٱلْقُرْآنِ وَذٰلِكَ يَكُونُ بِالطَّوافِ بِٱلْبَيْتِ وَمَسِّ ٱلرُّكْنِ ٱلْيَمانِي، وَتَقْبِيلِ ٱلْحَجَرِ ٱلْأَسْوَدِ، وَبِٱلصَّلاةِ خَلْفَ ٱلْمَقامِ وَبِٱلْوُقُوفِ لِلدُّعاءِ عِنْدَ ٱلْمُسْتَجارِ وَبابِ ٱلْكَعْبَةِ وَٱلْمُلْتَزَمِ، وَنَحْنُ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ لَمْ نَعْبُدْ إِلَّا ٱللَّهَ تَعالَىٰ، وَلَمْ نَعْتَقِدْ تَأْثِيرًا لِغَيْرِهِ وَلا نَفْعًا ولا ضَرًّا، فَلا يَثْبُتُ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ لِأَحَدٍ سِوَى ٱللَّهِ تَعالَىٰ.

ﮧﮨﮧﮨ

مَقامُ ٱلْمَخْلوقِ

أَمَّا هُوَ ﷺ فَإِنَّنا نَعْتَقِدُ أَنَّهُ ﷺ بَشَرٌ يَجُوزُ عَلَيْهِ ما يَجُوزُ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ ٱلْبَشَرِ مِنْ حُصُولِ ٱلْأَعْراضِ وَٱلْأَمْراضِ ٱلَّتِي لا تُوجِبُ ٱلنَّقْصَ وَٱلتَّنْفِيرَ، كَما قالَ صاحِبُ ٱلْعَقِيدَةِ:

وَجائِزٌ فِي حَقِّهِمْ من عَرَضٍ

بِغَيْرِ نَقْصٍ كَخَفِيفِ ٱلْمَرَضِ

وَأَنَّهُ ﷺ عَبْدٌ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا مَوْتًا وَلا حَياةً وَلا نُشُورًا إِلَّا ما شاءَ ٱللَّهُ.

قالَ تَعالَىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

وَأَنَّهُ ﷺ قَدْ أَدَّى ٱلرِّسالَةَ وَبَلَّغَ ٱلْأَمانَةَ وَنَصَحَ ٱلْأُمَّةَ وَكَشَفَ ٱلْغُمَّةَ وَجاهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ أَتاهُ ٱلْيَقِينُ، فَٱنْتَقَلَ إِلَىٰ جِوارِ رَبِّهِ راضِيًا مَرْضِيًّا، كَما قالَ تَعالَىٰ:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ .

وَقالَ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ .

وَالْعُبُودِيَّةُ هِيَ أَشْرَفُ صِفاتِهِ ﷺ وَلِذٰلِكَ فَإِنَّهُ يَفْتَخِرُ بِها وَيَقُولُ : «إِنَّما أَنا عَبْدٌ» وَوَصَفَهُ اللَّهُ بِها فِي أَعْلَىٰ مَقامٍ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ .

وَقالَ : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ .

وَالْبَشَرِيَّةُ هِيَ عَيْنُ إِعْجازِهِ، فَهُوَ بَشَرٌ مِنْ جِنْسِ الْبَشَرِ، لٰكِنَّهُ مُتَمَيِّزٌ عَنْهُمْ بِما لا يَلْحَقُهُ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ يُساوِيهِ، كَما قالَ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي» . .

وَبِهٰذا ظَهَرَ أَنَّ وَصْفَهُ ﷺ بِالْبَشَرِيَّةِ يَجِبُ أَنْ يَقْتَرِنَ بِما يُمَيِّزُهُ عَنْ عامَّةِ الْبَشَرِ مِنْ ذِكْرِ خَصائِصِهِ الْفَرِيدَةِ وَمَناقِبِهِ الْحَمِيدَةِ، وَهٰذا لَيْسَ خاصًّا بِهِ ﷺ بَلْ هُوَ عامٌّ فِي حَقِّ جَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ لِتَكُونَ

نَظْرَتُنا إِلَيْهِمْ لائِقَةٌ بِمَقامِهِمْ، وَذٰلِكَ لِأَنَّ مُلاحَظَةَ ٱلْبَشَرِيَّةِ ٱلعادِيَّةِ ٱلْمُجَرَّدَةِ فِيهِمْ دُونَ غَيْرِها هِيَ نَظْرَةٌ جاهِلِيَّةٌ شِرْكِيَّةٌ، وَفِي ٱلْقُرْآنِ شَواهِدُ كَثِيرَةٌ عَلَىٰ ذٰلِكَ، فَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُ قَوْمِ نُوحٍ - عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ - فِي حَقِّهِ فِيما حَكاهُ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِذْ قالَ: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ .

وَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُ قَوْمِ مُوسَىٰ وَهارُونَ - عَلَيْهِما ٱلسَّلامُ - فِي حَقِّهِما فِيما حَكاهُ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِذْ قالَ: ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ .

فَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُ ثَمُودَ لِنَبِيِّهِمْ صالِح - عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ - فِيما حَكاهُ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ .

وَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُ أَصْحابِ ٱلْأَيْكَةِ لِنَبِيِّهِمْ شُعَيْبٍ - عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ - فِيما حَكاهُ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ .

وَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُ ٱلْمُشْرِكِينَ فِي حَقِّ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَدْ رَأَوْهُ بِعَيْنِ ٱلْبَشَرِيَّةِ ٱلْمُجَرَّدَةِ فِيما حَكاهُ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾، وَلَقَدْ تَحَدَّثَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ حَدِيثَ ٱلصِّدْقِ بِما أَكْرَمَهُ ٱللَّهُ تَعالَىٰ بِهِ مِنْ عَظِيمِ ٱلصِّفاتِ وَخَوارِقِ ٱلعاداتِ ٱلَّتِى تَمَيَّزَ بِها عَنْ سائِرِ أَنْواعِ ٱلبَشَرِ.

فَمِنْ ذٰلِكَ ما جاءَ فِى ٱلحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ أَنَّهُ قالَ: «تَنامُ عَيْناىَ وَلا يَنامُ قَلْبِى».

وَجاءَ فِى ٱلحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ أَنَّهُ قالَ: «إِنِّى أَراكُمْ مِنْ وَراءِ ظَهْرِى كَما أَراكُمْ مِنْ أَمامِى».

وَجاء فِى ٱلصَّحِيحِ أَنَّهُ قالَ: «أُوتِيتُ مَفاتِيحَ خَزائِنِ ٱلْأَرْضِ».

وَهُوَ ﷺ وَإِنْ كانَ قَدْ ماتَ إِلَّا أَنَّهُ حَىٌّ حَياةً بَرْزَخِيَّةً كامِلَةً، يَسْمَعُ ٱلكَلامَ وَيَرُدُّ ٱلسَّلامَ، وَتَبْلُغُهُ صَلاةُ مَنْ يُصَلِّى عَلَيْهِ، وَتُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمالُ ٱلْأُمَّةِ فَيَفْرَحُ بِعَمَلِ

ٱلْمُحْسِنِينَ وَيَسْتَغْفِرُ لِلْمُسِيئِينَ، وَأَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ عَلَى ٱلْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ جَسَدَهُ، فَهُوَ مَحْفُوظٌ مِنَ ٱلْآفاتِ وَٱلعَوارِضِ ٱلْأَرْضِيَّةِ.

وَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ «مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ ٱلجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ ٱلنَّفْخَةُ وَفِيهِ ٱلصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ ٱلصَّلاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قالُوا: يا رَسُولَ ٱللَّهِ! وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ، يَعْنِي بَلِيتَ؟ فَقالَ: «إِنَّ ٱللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَرَّمَ عَلَى ٱلْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسادَ ٱلْأَنْبِياءِ»..

رَواهُ أَحْمَدُ وَأَبُو داوُدَ وَٱبْنُ ماجَةَ وَٱبْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَٱلحاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

وَفِي ذٰلِكَ رِسالَةٌ خاصَّةٌ لِلْحافِظِ جَلالِ ٱلدِّينِ ٱلسُّيُوطِيِّ أَسْماها «إِنْباءُ ٱلْأَذْكِياءِ بِحَياةِ ٱلْأَنْبِياءِ».

وَعَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ قالَ: «حَياتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لَكُمْ، فَإِذا أَنا مِتُّ

كانَتْ وَفاتِي خَيْرًا لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمالُكُمْ فَإِنْ رَأَيْتُ خَيْرًا حَمِدْتُ ٱللَّهَ وَإِنْ رَأَيْتُ شَرًّا ٱسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ».

قالَ ٱلْهَيْثَمِيُّ: رَواهُ ٱلْبَزَّارُ وَرِجالُهُ رِجالُ ٱلصَّحِيحِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ قالَ: «ما مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ ٱللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلامَ».

رَواهُ أَحْمَدُ وَأَبُو داوُدَ.

قالَ بَعْضُ ٱلْعُلَماءِ: رَدَّ عَلَىَّ رُوحِي: أَيْ نُطْقِي.

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ ياسِرٍ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «إِنَّ ٱللَّهَ وَكَّلَ بِقَبْرِي مَلَكًا أَعْطاهُ ٱللَّهُ أَسْماءَ ٱلْخَلائِقِ، فَلا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيامَةِ إِلَّا أَبْلَغَنِي بِٱسْمِهِ وَٱسْمِ أَبِيهِ، هٰذا فُلانُ بْنُ فُلانٍ قَدْ صَلَّىٰ عَلَيْكَ».

رَواهُ ٱلْبَزَّارُ وَأَبُو ٱلشَّيْخِ وَٱبْنُ حِبَّانَ وَلَفْظُهُ: قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ مَلَكًا أَعْطاهُ أَسْماءَ ٱلْخَلائِقِ فَهُوَ قائِمٌ عَلَىٰ قَبْرِي إِذا مِتُّ، فَلَيْسَ أَحَدٌ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا قالَ: يا مُحَمَّدُ! صَلَّىٰ عَلَيْكَ فُلانُ

ابْنُ فُلانٍ، قالَ فَيُصَلِّى ٱلرَّبُّ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ عَلَىٰ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ بِكُلِّ واحِدَةٍ عَشْرًا». رَواهُ ٱلطَّبَرانِيُّ فِى «ٱلكَبِيرِ» بِنَحْوِهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ ٱلْإِمامُ ٱلسُّبْكِيُّ أَنَّهُ جاءَ بِرِوايَتَيْنِ: أَسْماءَ ٱلخَلائِقِ، وَأَسْماءَ ٱلخلائِقِ[1].

وَهُوَ ﷺ وَإِنْ كانَ قَدْ ماتَ إِلَّا أَنَّ فَضْلَهُ وَمَقامَهُ وَجاهَهُ عِنْدَ رَبِّهِ باقٍ لا شَكَّ فِى ذٰلِكَ وَلا رَيْبَ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْإِيمانِ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّ ٱلتَّوَسُّلَ بِهِ إِلَى ٱللَّهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ إِنَّما يَرْجِعُ فِى ٱلحَقِيقَةِ إِلَى ٱعْتِقادِ وُجُودِ تِلْكَ ٱلمَعانِى وَٱعْتِقادِ مَحَبَّتِهِ وَكَرامَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَإِلَى ٱلْإِيمانِ بِهِ وَبِرِسالَتِهِ، وَلَيْسَ هُوَ عِبادَةٌ لَهُ، بَلْ إِنَّهُ مَهْما عَظُمَتْ دَرَجَتُهُ وَعَلَتْ رُتْبَتُهُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ لا يَضُرُّ وَلا يَنْفَعُ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

قالَ تَعالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾.

---

(١) شِفاءُ ٱلسِّقامِ ص٤٦.

أُمُورٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ ٱلْمَقامَيْنِ . . لا تُنافِى ٱلتَّنْزِيهَ

وَقَدْ أَخْطَأَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ فِى فَهْمِ بَعْضِ ٱلْأُمُورِ ٱلْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَ ٱلْمَقامَيْنِ (مَقامِ ٱلْخالِقِ وَمَقامِ ٱلْمَخْلُوقِ) فَظَنَّ أَنَّ نِسْبَتَها إِلَىٰ مَقامِ ٱلْمَخْلُوقِ شِرْكٌ بِٱللَّهِ تَعالَىٰ .

وَمِنْ ذٰلِكَ بَعْضُ ٱلْخَصائِصِ ٱلنَّبَوِيَّةِ مَثَلًا ، ٱلَّتِى يُخْطِئُ بَعْضُهُمْ فِى فَهْمِها ، فَيَقِيسُونَها بِمِقْياسِ ٱلْبَشَرِيَّةِ ، وَلِذٰلِكَ يَسْتَكْثِرُونَها وَيَسْتَعْظِمُونَها عَلَىٰ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ ، وَيَرَوْنَ أَنَّ وَصْفَهُ بِها مَعْناهُ وَصْفُهُ بِبَعْضِ صِفاتِ ٱلْأُلُوهِيَّةِ ، وَهٰذا جَهْلٌ مَحْضٌ ، لِأَنَّهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ يُعْطِى مَنْ يَشاءُ وَكَما يَشاءُ بِلا مُوجِبٍ مُلْزِمٍ ، وَإِنَّما هُوَ تَفَضُّلٌ عَلَىٰ مَنْ أَرادَ إِكْرامَهُ وَرَفْعَ مَقامِهِ ، وَإِظْهارَ فَضْلِهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ ٱلْبَشَرِ ، وَلَيْسَ فِى ذٰلِكَ ٱنْتِزاعٌ لِحُقُوقِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ وَصِفاتِ ٱلْأُلُوهِيَّةِ ، فَهِىَ مَحْفُوظَةٌ بِما يُناسِبُ مَقامَ ٱلْحَقِّ - سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ - ،

وَإِذا ٱتَّصَفَ ٱلْمَخْلُوقُ بِشَيْءٍ مِنْها فَيَكُونُ بِما يُناسِبُ ٱلْبَشَرِيَّةَ مِنْ كَوْنِها مَحْدُودَةً مُكْتَسَبَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَفَضْلِهِ وَإِرادَتِهِ، لا بِقُوَّةِ ٱلْمَخْلُوقِ وَلا تَدْبِيرِهِ وَلا أَمْرِهِ، إِذْ هُوَ عاجِزٌ ضَعِيفٌ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا مَوْتًا وَلا حَياةً وَلا نُشُورًا، وَكَمْ مِنْ أُمُورٍ جاءَ ما يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّها حَقٌّ لِلَّهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ، وَلٰكِنَّهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ مَنَّ بِها عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ وَغَيْرِهِ.

وَحِينَئِذٍ فَلا يَرْفَعُهُ وَصْفُهُ بِها إِلَىٰ مَقامِ ٱلْأُلُوهِيَّةِ، أَوْ يَجْعَلُهُ شَرِيكًا لِلَّهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ.

فَمِنْها: ٱلشَّفاعَةُ، فَهِيَ لِلَّهِ، قالَ ٱللَّهُ تَعالَىٰ: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ ﴾، وَهِيَ ثابِتَةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِغَيْرِهِ مِنَ ٱلشُّفَعاءِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ كَما جاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ: «أُوتِيتُ ٱلشَّفاعَةَ».. وَحَدِيثِ: «أَنا أَوَّلُ شافِعٍ وَمُشَفَّعٍ»..

وَمِنْها: عِلْمُ ٱلْغَيْبِ، فَهُوَ لِلَّهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ ٱللَّهَ تَعالَىٰ عَلَّمَ نَبِيَّهُ مِنَ ٱلْغَيْبِ ما عَلَّمَهُ وَأَعْطاهُ ما

أَعْطاهُ ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾.

وَمِنْها: ٱلْهِدايَةُ، فَهِيَ خاصَّةٌ بِٱللَّهِ تَعالَىٰ، قالَ ٱللَّهُ تَعالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾، وَقَدْ جاءَ أَنَّهُ ﷺ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَٰلِكَ فَقالَ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، وَٱلْهِدايَةُ ٱلْأُولَىٰ غَيْرُ ٱلْهِدايَةِ ٱلثَّانِيَةِ، وَهَٰذا إِنَّما يَفْهَمُهُ ٱلْعُقَلاءُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْرِفُونَ ٱلْفَرْقَ بَيْنَ ٱلْخالِقِ وَٱلْمَخْلُوقِ، وَلَوْلا ذَٰلِكَ لَٱحْتاجَ أَنْ يَقُولَ: وَإِنَّكَ لَتَهْدِي هِدايَةَ إِرْشادٍ، أَوْ أَنْ يَقُولَ: وَإِنَّكَ لَتَهْدِي هِدايَةً غَيْرَ هِدايَتِنا، وَلَٰكِنَّ كُلَّ ذَٰلِكَ لَمْ يَحْصُلْ.

بَلْ أَثْبَتَ لَهُ هِدايَةً مُطْلَقَةً بِلا قَيْدٍ وَلا شَرْطٍ، لِأَنَّ ٱلْمُوَحِّدَ مِنَّا مَعْشَرَ ٱلْمُخاطَبِينَ مِنْ أَهْلِ ٱلْإِسْلامِ يَفْهَمُ مَعانِيَ ٱلْأَلْفاظِ وَيُدْرِكُ ٱخْتِلافَ مَدْلُولاتِها بِٱلنِّسْبَةِ لِما أُضِيفَ إِلَى ٱللَّهِ، وَبِٱلنِّسْبَةِ لِما أُضِيفَ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، وَنَظِيرُ هَٰذا ما جاءَ فِي ٱلْقُرْآنِ مِنْ وَصْفِ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ بِٱلرَّأْفَةِ وَٱلرَّحْمَةِ؛ إِذْ يَقُولُ تَعالَىٰ:

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وَوَصَفَ اللَّهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ نَفْسَهُ بِذٰلِكَ أَيْضًا فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ، فَهُوَ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ الثَّانِيَةَ غَيْرُ الأُولَىٰ، وَلَمَّا وَصَفَ نَبِيَّهُ ﷺ بِذٰلِكَ الْوَصْفِ وَصَفَهُ بِهِ بِالْإِطْلاقِ بِلا قَيْدٍ وَلا شَرْطٍ، لِأَنَّ الْمُخاطَبَ وَهُوَ مُوَحِّدٌ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ، يَعْلَمُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْخالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَلَوْلا ذٰلِكَ لَاحْتاجَ أَنْ يَقُولَ فِي وَصْفِهِ ﷺ رَءُوفٌ بِرَأْفَةٍ غَيْرِ رَأْفَتِنا، وَرَحِيمٌ بِرَحْمَةٍ غَيْرِ رَحْمَتِنا، أَوْ أَنْ يَقُولَ: رَءُوفٌ بِرَأْفَةٍ خاصَّةٍ أَوْ رَحِيمٌ بِرَحْمَةٍ خاصَّةٍ، أَوْ أَنْ يَقُولَ: رَءُوفٌ بِرَأْفَةٍ بَشَرِيَّةٍ وَرَحِيمٌ بِرَحْمَةٍ بَشَرِيَّةٍ، وَلٰكِنَّ كُلَّ ذٰلِكَ لَمْ يَحْصُلْ، بَلْ أَثْبَتَ لَهُ رَأْفَةً مُطْلَقَةً وَرَحْمَةً مُطْلَقَةً بِلا قَيْدٍ وَلا شَرْطٍ، فَقالَ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

ﮪﮫﮪﮫ

ٱلْعَوامُّ . . وَمَباحِثُ ٱلصِّفاتِ فِى ٱلْعَقِيدَةِ

وَمِنْ أَعْظَمِ ٱلْفِتَنِ ٱلَّتِى بُلِينا بِها مِمَّنْ يَدَّعِى ٱلسَّلَفِيَّةَ وَهُمْ أَبْعَدُ ٱلنَّاسِ عَنْ حَقائِقِها وَآدابِها، ما يَظْهَرُ عَلَى ٱلسَّاحَةِ ٱلْيَوْمَ مِنْ كُتُبٍ وَمُحاضَراتٍ تَشْغَلُ ٱلنَّاسَ وَأَكْثَرُهُمْ مِنَ ٱلْعَوامِّ، تَشْغَلُهُمْ بِمَباحِثَ عَوِيصَةٍ وَمُشْكِلَةٍ فِى ٱلْعَقِيدَةِ، مَباحِثَ زَلَّتْ فِيها ٱلْأَقْدامُ، وَضَلَّتْ فِيها ٱلْأَفْهامُ، وَما ثَبَتَ فِيها إِلَّا ٱلْأَئِمَّةُ ٱلْأَعْلامُ، وَهِىَ مَباحِثُ ٱلصِّفاتِ وَغَيْرِها مِمَّا يَدُورُ فِى هٰذا ٱلْبابِ.

قالَ ٱلْعُلَماءُ: مِنْ أَعْظَمِ ٱلْفِتَنِ سُؤالُ ٱلْعَوامِّ عَنْ صِفاتِ ٱللَّهِ تَعالَىٰ وَعَنْ كَلامِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلْحُرُوفِ وَأَنَّها قَدِيمَةٌ أَوْ مُحْدَثَةٌ، وَعَنْ ٱلِاسْتِواءِ وَٱلنُّزُولِ وَٱلْيَدِ، وَما هُوَ، وَكَيْفَ هُوَ، وَٱلرُّدُودِ ٱلْوارِدَةِ فِى هٰذا ٱلْمَجالِ، وَٱلْعامِّىُّ يَفْرَحُ بِٱلْخَوْضِ فِى هَذا ٱلْعِلْمِ، إِذِ ٱلشَّيْطانُ

يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ مِنَ ٱلْعُلَماءِ وَأَهْلِ ٱلْفَضْلِ، وَلا يَزالُ يُحَبَّبُ إِلَيْهِ ذٰلِكَ حَتَّىٰ يَتَكَلَّمَ فِى ٱلْعِلْمِ بِما هُوَ كُفْرٌ وَهُوَ لا يَدْرِى، وَقَدْ تَكُونُ ٱلْكَبِيرَةُ ٱلَّتِى يَرْتَكِبُها ٱلعامِّىُّ أَسْلَمَ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِى هٰذا ٱلبابِ مِنَ ٱلعِلْمِ ٱلَّذِى يَتَعَلَّقُ بِٱللَّهِ وَصِفاتِهِ، وَإِنَّما شَأْنُ ٱلعَوامِّ ٱلِاشْتِغالُ بِٱلعِباداتِ وَٱلْإِيمانِ بِما وَرَدَ بِهِ ٱلقُرْآنُ، وَٱلتَّسْلِيمُ بِما جاءَ بِهِ ٱلرُّسُلُ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ، وَسُؤالُهُمْ عَنْ غَيْرِ ما يَتَعَلَّقُ بِٱلعِباداتِ سُوءُ أَدَبٍ مِنْهُمْ يَسْتَحِقُّونَ بِهِ ٱلمَقْتَ مِنَ ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَتَعَرَّضُونَ لِخَطَرِ ٱلكُفْرِ، وَهُوَ كَسُؤالِ ساسَةِ ٱلدَّوابِّ عَنْ أَسْرارِ ٱلْمُلُوكِ وَهُوَ مُوجِبٌ لِلْعُقُوبَةِ، وَكُلُّ مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ غامِضٍ وَلَمْ يَبْلُغْ فَهْمُهُ تِلْكَ ٱلدَّرَجَةَ فَهُوَ مَذْمُومٌ، فَإِنَّهُ بِٱلإِضافَةِ إِلَيْهِ عامِّىٌّ، وَلِذٰلِكَ قالَ ﷺ كَما جاءَ فِى ٱلحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ «ذَرُونِى ما تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤالِهِمْ وَٱخْتِلافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيائِهِمْ، ما نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَٱجْتَنِبُوهُ وَما أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ ما ٱسْتَطَعْتُمْ».

وَفِى ٱلحَدِيثِ ٱلْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «نَهَىٰ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ

عَنِ ٱلْقِيلِ وَٱلْقالِ وَإِضاعَةِ ٱلْمالِ وَكَثْرَةِ ٱلسُّؤالِ».

وَجاءَ فِى ٱلصَّحِيحَيْنِ قالَ ﷺ: «يُوشِكُ ٱلنَّاسُ يَتَساءَلُونَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: قَدْ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ ٱللَّهَ؟ فَإِذا قالُوا ذٰلِكَ فَقُولُوا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، حَتَّىٰ تَخْتِمُوا ٱلسُّورَةَ، ثُمَّ لِيَتْفُلْ أَحَدُكُمْ عَنْ يَسارِهِ ثَلاثًا وَلْيَسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطانِ ٱلرَّجِيمِ».

فَٱشْتِغالُ ٱلْعَوامِّ بِمَسائِلِ ٱلْعَقِيدَةِ ٱلْعِلْمِيَّةِ ٱلَّتِى تَحْتاجُ إِلَىٰ أَهْلِيَّةٍ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْآفاتِ، وَهُوَ مِنَ ٱلْمُثِيراتِ لِلْفِتَنِ، فَيَجِبُ دَفْعُهُمْ وَمَنْعُهُمْ مِنْ ذٰلِكَ. وَخَوْضُهُمْ فِى حُرُوفِ ٱلْقُرْآنِ يُضاهِى حالَ مَنْ كَتَبَ ٱلْمَلِكُ إِلَيْهِ كِتابًا وَرَسَمَ لَهُ فِيهِ أُمُورًا، فَلَمْ يَشْتَغِلْ بِشَىْءٍ مِنْها، وَضَيَّعَ زَمانَهُ فِى أَنَّ قِرْطاسَ ٱلْكِتابِ عَتِيقٌ أَمْ حَدِيثٌ، فَٱسْتَحَقَّ بِذٰلِكَ ٱلْعُقُوبَةَ لا مَحالَةَ، فَكَذٰلِكَ تَضْيِيعُ ٱلْعامِّىِّ حُدُودَ ٱلْقُرْآنِ وَٱشْتِغالُهُ بِحُرُوفِهِ أَهِىَ قَدِيمَةٌ أَمْ حَدِيثَةٌ، وَكَذٰلِكَ سائِرُ صِفاتِ ٱللَّهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ.

قالَ ٱلْعُلَماءُ: وَلَيْسَ ٱلْمُرادُ بِٱلْعَوامِّ ٱلسُّوقِيَّةَ وَٱلْأَجْلافَ مِنْ أَهْلِ ٱلسَّوادِ فَقَطْ، بَلْ فِي مَعْنَى ٱلْعَوامِّ ٱلْأَدِيبُ وَٱلنَّحْوِيُّ وَٱلْفَيْلَسُوفُ وَٱلْمُتَكَلِّمُ، بَلْ كُلُّ عالِمٍ سِوَى ٱلْمُتَجَرِّدِينَ لِعِلْمِ ٱلسِّباحَةِ فِي بِحارِ ٱلْمَعْرِفَةِ، ٱلْقاصِرِينَ أَعْمارَهُمْ عَلَيْهِ، ٱلصَّارِفِينَ وُجُوهَهُمْ عَنِ ٱلدُّنْيا وَٱلشَّهَواتِ، ٱلْمُعْرِضِينَ عَنِ ٱلمالِ وَٱلْجاهِ وَٱلْخَلْقِ وَسائِرِ ٱللَّذَّاتِ، ٱلْمُخْلِصِينَ لِلَّهِ تَعالَىٰ فِي ٱلْعُلُومِ وَٱلْأَعْمالِ، ٱلْقائِمِينَ بِجَمِيعِ حُدُودِ ٱلشَّرِيعَةِ وَآدابِها فِي ٱلْقِيامِ بِٱلطَّاعاتِ وَتَرْكِ ٱلْمُنْكَراتِ، ٱلْمُفَرِّغِينَ قُلُوبَهُمْ بِٱلْجُمْلَةِ عَنْ غَيْرِ ٱللَّهِ، ٱلْمُسْتَحْقِرِينَ لِلدُّنْيا بَلْ لِلْآخِرَةِ فِي جَنْبِ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ تَعالَىٰ، فَهٰؤُلاءِ هُمْ أَهْلُ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلْأَهْلِيَّةِ، وَهُمْ مَعَ ذٰلِكَ كُلِّهِ عَلَىٰ خَطَرٍ عَظِيمٍ، يَهْلِكُ مِنَ ٱلْعَشَرَةِ تِسْعَةٌ إِلَىٰ أَنْ يَسْعَدَ واحِدٌ مِنْهُمْ بِٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلْفِقْهِ وَٱلدِّينِ وَٱلْفَتْحِ ٱلْمُبِينِ.

❧❧❧❧

مِنْ شُعَبِ ٱلتَّكْفِيرِ

ٱلْكِبْرُ، وَٱلْعُجْبُ، وَٱلِٱحْتِقارُ

مِنَ ٱلظَّواهِرِ ٱلْواضِحَةِ ٱلَّتِى تَمَيَّزَ بِها هٰؤُلاءِ ٱلْمُكَفِّرُونَ لِلْمُسْلِمِينَ أَوْ قُلْ: هٰؤُلاءِ ٱلْمُسارِعُونَ إِلَىٰ تَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ يُخالِفُهُمْ أَوْ يُعارِضُهُمْ فِيما يَرَوْنَ أَوْ يَعْتَقِدُونَ.

مِنَ ٱلظَّواهِرِ ٱلَّتِى لا تُنْكَرُ إِعْجابُهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَعْمالِهِمْ، وَٱلْعُجْبُ هُوَ بِدايَةٌ خَطِيرَةٌ لِأَقْبَحِ خُلُقٍ نَهَىٰ عَنْهُ ٱلْإِسْلامُ وَحَذَّرَ مِنْهُ، إِنَّهُ ٱلْكِبْرُ ٱلَّذِى تَمَيَّزَ بِهِ أَوَّلُ كافِرٍ فِى ٱلْخَلْقِ وَهُوَ (إِبْلِيسُ) حَيْثُ رَأَىٰ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ آدَمَ وَأُعْجِبَ بِعَمَلِهِ، وَكانَ لَهُ فِيهِ رَصِيدٌ كَبِيرٌ وَٱجْتِهادٌ عَظِيمٌ.

قالَ ٱلْإِمامُ ٱلْقُرْطُبِىُّ: كانَ إِبْلِيسُ مِنْ خُزَّانِ ٱلْجَنَّةِ، وَكانَ رَئِيسَ مَلائِكَةِ ٱلسَّماءِ ٱلدُّنْيا، وَكانَ لَهُ سُلْطانُها وَسُلْطانُ ٱلْأَرْضِ. وَكانَ مِنْ أَشَدِّ ٱلْمَلائِكَةِ ٱجْتِهادًا

وَأَكْثَرِهِمْ عِلْمًا، وَكانَ يَسُوسُ ما بَيْنَ ٱلسَّماءِ وَٱلْأَرْضِ، فَرَأَىٰ لِنَفْسِهِ بِذٰلِكَ شَرَفًا وَعَظَمَةً، فَذٰلِكَ دَعاهُ إِلَى ٱلْكُفْرِ فَعَصَى ٱللَّهَ فَمَسَخَهُ شَيْطانًا رَجِيمًا، فَإِذا كانَتْ خَطِيئَةُ ٱلرَّجُلِ فِى كِبْرٍ فَلا تَرْجُهُ، وَإِنْ كانَتْ خَطِيئَتُهُ فِى مَعْصِيَةٍ فَٱرْجُهُ، وَكانَتْ خَطِيئَةُ آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ مَعْصِيَةً، وَخَطِيئَةُ إِبْلِيسَ كِبْرًا[1].

قُلْتُ: وَهٰذا ٱلْعُجْبُ هُوَ ٱلَّذِى دَعاهُ إِلَىٰ رُؤْيَةِ نَفْسِهِ فَقالَ:

﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ ﴾.

وَإِلَى ٱحْتِقارِ آدَمَ وَٱلْإِسْتِهانَةِ بِهِ فَقالَ:

﴿ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾.

فَتَكَبَّرَ وَكانَ مِنَ ٱلْكافِرِينَ كَما قالَ تَعالَىٰ:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

---

(١) ٱلْجامِعُ لِأَحْكامِ ٱلْقُرْآنِ لِلْقُرْطُبِىِّ (سُورَةُ ٱلْبَقَرَةِ).

ٱلْمُتَكَبِّرُ: عَدُوُّ ٱللَّهِ

لِذٰلِكَ كانَ ٱلْمُتَكَبِّرُ بَغِيضًا إِلَى ٱللَّهِ تَعالَىٰ كَما قالَ تَعالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾

وقالَ تَعالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾.

وقالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾.

وَٱلْخُيَلاءُ وَٱلْفَخْرُ مِنْ أَوْصافِ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ، وَٱلْمُتَكَبِّرُ مُتَعَرِّضٌ لِأَنْ يَطْبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ كَما قالَ تَعالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾.

وَٱلْمُتَكَبِّرُ مَصْرُوفٌ عَنْ آياتِ ٱللَّهِ كَما قالَ تَعالَىٰ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾، وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾، وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.

وَذَمُّ ٱلْكِبْرِ فِي ٱلْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

أَمَّا فِي ٱلسُّنَّةِ ٱلْمُشَرَّفَةِ فَقَدْ جاءَ فِي ذَمِّ ٱلْكِبْرِ أَحادِيثُ نَبَوِيَّةٌ وَقُدُسِيَّةٌ فَمِنْها: قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: قالَ ﷺ: يَقُولُ ٱللَّهُ تَعالَىٰ: (ٱلْكِبْرِياءُ رِدائِي وَٱلْعَظَمَةُ إِزارِي، فَمَنْ نازَعَنِي واحِدًا مِنْها أَلْقَيْتَهُ فِي جَهَنَّمَ وَلا أُبالِي) رَواهُ بِهٰذا ٱللَّفْظِ ٱبْنُ ماجَةَ فِي كِتابِ ٱلزُّهْدِ (بابِ ٱلْبَراءَةِ مِنَ ٱلْكِبْرِ وَٱلتَّواضُعِ ج٢/ ص١٣٩٨)، وَٱبْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ. وَرَواهُ أَيْضًا مُسْلِمٌ فِي كِتابِ ٱلْبِرِّ وَٱلصِّلَةِ وَٱلْأَدَبِ (بابِ تَحْرِيمِ ٱلْكِبْرِ ج٨/ ص٣٦) بِلَفْظِ «ٱلْعِزُّ إِزارُهُ وَٱلْكِبْرِياءُ رِداؤُهُ فَمَنْ يُنازِعُنِي عَذَّبْتُهُ».

وَعَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «لا يَدْخُلُ ٱلنَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمانٍ وَلا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِياءَ» رَواهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» ج١/ ص٦٥.

مِنْ عَلاماتِ ٱلْكِبْرِ

وَٱلْكِبْرُ إِنَّما يَكُونُ فِي ٱلْقَلْبِ. وَلٰكِنْ لَهُ عَلاماتٌ فِي ٱلظَّاهِرِ تَدُلُّ عَلَيْهِ.

فَمِنْها: حُبُّ ٱلتَّقَدُّمِ عَلى ٱلنَّاسِ وَإِظْهارُ ٱلتَّرَفُّعِ عَلَيْهِمْ، وَحُبُّ ٱلتَّصَدُّرِ فِي ٱلْمَجالِسِ، وَٱلتَّبَخْتُرِ وَٱلِاخْتِيالِ فِي ٱلْمِشْيَةِ، وَٱلِاسْتِنْكافُ مِنْ أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِ كَلامُهُ وَإِنْ كانَ باطِلًا، وَٱلِامْتِناعُ مِنْ قَبُولِهِ، وَٱلِاسْتِخْفافُ بِضَعَفَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَمَساكِينِهِمْ.

وَمِنْها: تَزْكِيَةُ ٱلنَّفْسِ وَٱلثَّناءُ عَلَيْها، وَٱلْفَخْرُ بِٱلْآباءِ مِنْ أَهْلِ ٱلدِّينِ وَٱلْفَضْلِ، وَٱلتَّبَجُّحِ بِٱلنَّسَبِ، وَذٰلِكَ مَذْمُومٌ وَمُسْتَقْبَحٌ جِدًّا، وَقَدْ يُبْتَلَىٰ بِهِ بَعْضُ أَوْلادِ ٱلْأَخْيارِ مِمَّنْ لا بَصِيرَةَ لَهُ ولا مَعْرِفَةَ بِحَقائِقِ ٱلدِّينِ.

وَمَنِ ٱفْتَخَرَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِنَسَبِهِ وَبِآبائِهِ ذَهَبَتْ بَرَكَتُهُمْ عَنْهُ، لِأَنَّهُمْ ما كانُوا يَفْتَخِرُونَ وَلا يَتَكَبَّرُونَ عَلَى ٱلنَّاسِ، وَلَوْ فَعَلُوا ذٰلِكَ لَبَطَلَ فَضْلُهُمْ، وَقَدْ قالَ

عَلَيْهِ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رَواهُ مُسْلِمٌ فِي كِتابِ (ٱلذِّكْرِ وَٱلدُّعاءِ وَٱلتَّوْبَةِ وَٱلِاسْتِغْفارِ» بابِ فَضْلِ ٱلِاجْتِماعِ عَلَىٰ تِلاوَةِ ٱلقُرْآنِ وَعَلَى ٱلذِّكْرِ ج٨/ ص٧١.

وَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «أَلَا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلا لِأَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ، وَلا لِأَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ إِلَّا بِٱلتَّقْوَىٰ» ٱلحَدِيثَ.

وَقالَ ٱلهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِهِ»: وَرِجالُهُ رِجالُ ٱلصَّحِيحِ. (كِتابُ ٱلحَجِّ - بابُ ٱلخُطَبِ فِي ٱلحَجِّ ج٣/ ص٢٦٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوامٌ عَنِ ٱلفَخْرِ بِآبائِهِمْ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى ٱللَّهِ تَعالَىٰ مِنَ ٱلجِعْلانِ» (دَوابُّ سَوْداءُ مِنْ دَوابِّ ٱلأَرْضِ) رَواهُ أَبُو داوُدَ فِي كِتابِ ٱلأَدَبِ - بابِ ٱلتَّفاخُرِ بِٱلأَحْسابِ ج٢/ ص٦٢٤.

قالَ ٱلْإِمامُ عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ عَلَوِيٍّ ٱلْحَدَّادُ:

ثُـمَّ لا تَغْـتَرَّ بِٱلنَّـسَبِ

لا وَلا تَقْـنَعْ بِكـانَ أَبِـى

وَٱتَّبِعْ فِى ٱلْهَدْيِ خَيْرَ نَبِى

أَحْمَدَ ٱلْهادِى إِلَى ٱلسُّنَنِ

ٱلْعُجْبُ: مِفْتاحُ ٱلشُّرُورِ

أَمَّا ٱلْعُجْبُ فَهُوَ مَذْمُومٌ فِي كِتابِ ٱللَّهِ تَعالَىٰ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ قالَ تَعالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ ذَكَرَ ذٰلِكَ فِي مَعْرِضِ ٱلْإِنْكارِ.

وَقالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ فَرَدَّ عَلَى ٱلْكُفَّارِ بِإِعْجابِهِمْ بِحُصُونِهِمْ وَشَوْكَتِهِمْ.

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

وَهٰذا أَيْضًا يَرْجِعُ إِلَى ٱلْعُجْبِ بِٱلْعَمَلِ.

وَقَدْ يُعْجَبُ ٱلْإِنْسانُ بِعَمَلٍ هُوَ مُخْطِئٌ فِيهِ كَما يُعْجَبُ بِعَمَلٍ هُوَ مُصِيبٌ فِيهِ.

وَقالَ ﷺ لِأَبِي ثَعْلَبَةَ ٱلْخُشَنِيِّ حَيْثُ ذَكَرَ آخِرَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ وَما تَئُولُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْحَوادِثِ وَٱلْوَقائِعِ: «إِذا رَأَيْتَ

شُحًّا مُطاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَإِعْجابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ». رَواهُ أَبُو داوُدَ وَٱلتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

وَفِي حَدِيثٍ: أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ كانَ جالِسًا فِي جَماعَةٍ مِنْ أَصْحابِهِ، فَذَكَرُوا رَجُلًا وَأَكْثَرُوا ٱلثَّناءَ عَلَيْهِ، فَبَيْنا هُمْ كَذٰلِكَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِ ٱلرَّجُلُ وَوَجْهُهُ يَقْطُرُ ماءً مِنْ أَثَرِ ٱلْوُضُوءِ، وَقَدْ عَلَّقَ نَعْلَهُ بِيَدِهِ، وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ ٱلسُّجُودِ، فَقالُوا: يا رَسُولَ ٱللَّهِ! هُوَ هٰذا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي وَصَفْناهُ، فَقالَ ﷺ: «أَرَىٰ عَلَىٰ وَجْهِهِ سَفْعَةً مِنَ ٱلشَّيْطانِ». فَجاءَ ٱلرَّجُلُ حَتَّىٰ سَلَّمَ وَجَلَسَ مَعَ ٱلْقَوْمِ، فَقالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: «نَشَدْتُكَ ٱللَّهَ! هَلْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ حِينَ أَشْرَفْتَ عَلَى ٱلْقَوْمِ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ خَيْرٌ مِنْكَ؟» فَقالَ: ٱللَّهُمَّ نَعَمْ. رَواهُ أَحْمَدُ وَٱلْبَزَّارُ وَٱلدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ﷺ.

وَقالَ ٱبْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: ٱلْهَلاكُ فِي ٱثْنَتَيْنِ: ٱلْقُنُوطِ وَٱلْعُجْبِ.

قالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ ٱلشِّخِّيرِ: لَأَنْ أَبِيتَ

نائِمًا وَأُصْبِحَ نادِمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَبِيتَ قائِمًا وَأُصْبِحَ مُعْجَبًا. أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي ٱلْحِلْيَةِ.

وَقِيلَ لِعائِشَةَ رضي الله عنها: مَتَىٰ يَكُونُ ٱلرَّجُلُ مُسِيئًا؟ قالَتْ: إِذا ظَنَّ أَنَّهُ مُحْسِنٌ. (أَيْ ظَنَّ ٱلْمُعْجَبِينَ وَهُوَ ٱلْقَطْعُ بِٱلْإِحْسانِ، وَهُوَ غَيْرُ ظَنِّ ٱلْمُحْسِنِينَ فَذٰلِكَ رَجاءُ ٱلْإِحْسانِ) وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ وَٱلْمَنُّ عَلَى ٱلْمُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ يُنْتِجُهُ ٱسْتِعْظامُ صَدَقَتِهِ، وَٱسْتِعْظامُ ٱلْعَمَلِ هُوَ ٱلْعُجْبُ، لِأَنَّهُ لَوْلا يُعْجَبُ بِهِ لَما عَدَّهُ عَظِيمًا، فَظَهَرَ بِهٰذا أَنَّ ٱلْعُجْبَ مَذْمُومٌ جِدًّا وَهُوَ مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ.

❀❀❀❀

آفاتُ ٱلْعُجْبِ

قالَ ٱلْإِمامُ حُجَّةُ ٱلْإِسْلامِ ٱلْغَزالِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٱعْلَمْ أَنَّ آفاتِ ٱلْعُجْبِ كَثِيرَةٌ، فَإِنَّ ٱلْعُجْبَ يَدْعُو إِلَى ٱلْكِبْرِ لِأَنَّهُ أَحَدُ أَسْبابِهِ، فَيَتَوَلَّدُ مِنَ ٱلْعُجْبِ ٱلْكِبْرُ، وَمِنَ ٱلْكِبْرِ ٱلْآفاتُ ٱلْكَثِيرَةُ ٱلَّتِي لا تَخْفَىٰ، هٰذا مَعَ ٱلْعِبادِ.

وَأَمَّا مَعَ ٱللَّهِ تَعالَىٰ فَٱلْعُجْبُ يَدْعُو إِلَىٰ نِسْيانِ ٱلذُّنُوبِ وَإِهْمالِها، فَبَعْضُ ذُنُوبِهِ لا يَذْكُرُها وَلا يَتَفَقَّدُها لِظَنِّهِ أَنَّهُ مُسْتَغْنٍ عَنْ تَفَقُّدِها فَيَنْساها، وَما يَتَذَكَّرُهُ مِنْها، فَيَسْتَصْغِرُهُ وَلا يَسْتَعْظِمُهُ، فَلا يَجْتَهِدُ فِي تَدارُكِهِ وَتَلافِيهِ، بَلْ يَظُنُّ أَنَّهُ يُغْفَرُ لَهُ، وَأَمَّا ٱلْعِباداتُ وَٱلْأَعْمالُ فَإِنَّهُ يَسْتَعْظِمُها وَيَتَبَجَّحُ بِها وَيَمُنُّ عَلَى ٱللَّهِ بِفِعْلِها، وَيَنْسَىٰ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ بِٱلتَّوْفِيقِ وَٱلتَّمْكِينِ مِنْها، ثُمَّ إِذا أُعْجِبَ بِها عَمِيَ عَنْ آفاتِها. وَمَنْ لَمْ يَتَفَقَّدَ آفاتِ ٱلْأَعْمالِ كانَ أَكْثَرُ سَعْيِهِ ضائِعًا، فَإِنَّ ٱلْأَعْمالَ ٱلظَّاهِرَةَ إِذا لَمْ تَكُنْ خالِصَةً نَقِيَّةً عَنِ ٱلشَّوائِبِ قَلَّما تَنْفَعُ، وَإِنَّما يَتَفَقَّدُ مَنْ يَغْلبُ عَلَيْهِ ٱلْإِشْفاقُ

وَٱلْخَوْفُ دُونَ ٱلْعُجْبِ .

وَٱلْمُعْجَبُ يَغْتَرُّ بِنَفْسِهِ وَبِرَأْيِهِ، وَيَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ وَعَذابَهُ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ عِنْدَ ٱللَّهِ بِمَكانٍ، وَأَنَّ لَهُ عِنْدَهُ مِنَّةً وَحَقًّا بِأَعْمالِهِ ٱلَّتِى هِىَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِهِ وَعَطِيَّةٌ مِنْ عَطاياهُ، وَيُخْرِجُهُ ٱلْعُجْبُ إِلَىٰ أَنْ يُثْنِىَ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَيَحْمَدَها وَيُزَكِّيَها، وَإِنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ وَعَمَلِهِ وَعَقْلِهِ، مَنَعَهُ ذٰلِكَ مِنَ ٱلِٱسْتِفادَةِ وَمِنَ ٱلِٱسْتِشارَةِ وَٱلسُّؤالِ، فَيَسْتَبِدُّ بِنَفْسِهِ وَرَأْيِهِ، وَيَسْتَنْكِفُ مِنْ سُؤالِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ .

وَرُبَّما يُعْجَبُ بِٱلرَّأْيِ ٱلخاطِئِ ٱلَّذِى خَطَرَ لَهُ، فَيَفْرَحُ بِكَوْنِهِ مِنْ خَواطِرِهِ، وَلا يَفْرَحُ بِخَواطِرِ غَيْرِهِ، فَيُصِرُّ عَلَيْهِ وَلا يَسْمَعُ نُصْحَ ناصِحٍ، وَلا وَعْظَ واعِظٍ، بَلْ يَنْظُرُ إِلَىٰ غَيْرِهِ بِعَيْنِ ٱلِٱسْتِجْهالِ وَيُصِرُّ عَلَىٰ خَطَئِهِ، فَإِنْ كانَ رَأْيُهُ فِى أَمْرٍ دُنْيَوِىٍّ فَيُحَقِّقُ فِيهِ، وَإِنْ كانَ فِى أَمْرٍ دِينِىٍّ لا سِيَّما فِيما يَتَعَلَّقُ بِأُصُولِ ٱلعَقائِدِ فَيَهْلِكُ بِهِ، وَلَوِ ٱتَّهَمَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَثِقْ بِرَأْيِهِ وَٱسْتَضاءَ بِنُورِ ٱلقُرْآنِ وَٱسْتَعانَ بِعُلَماءِ ٱلدِّينِ وَواظَبَ عَلَىٰ مُدارَسَةِ ٱلعِلْمِ،

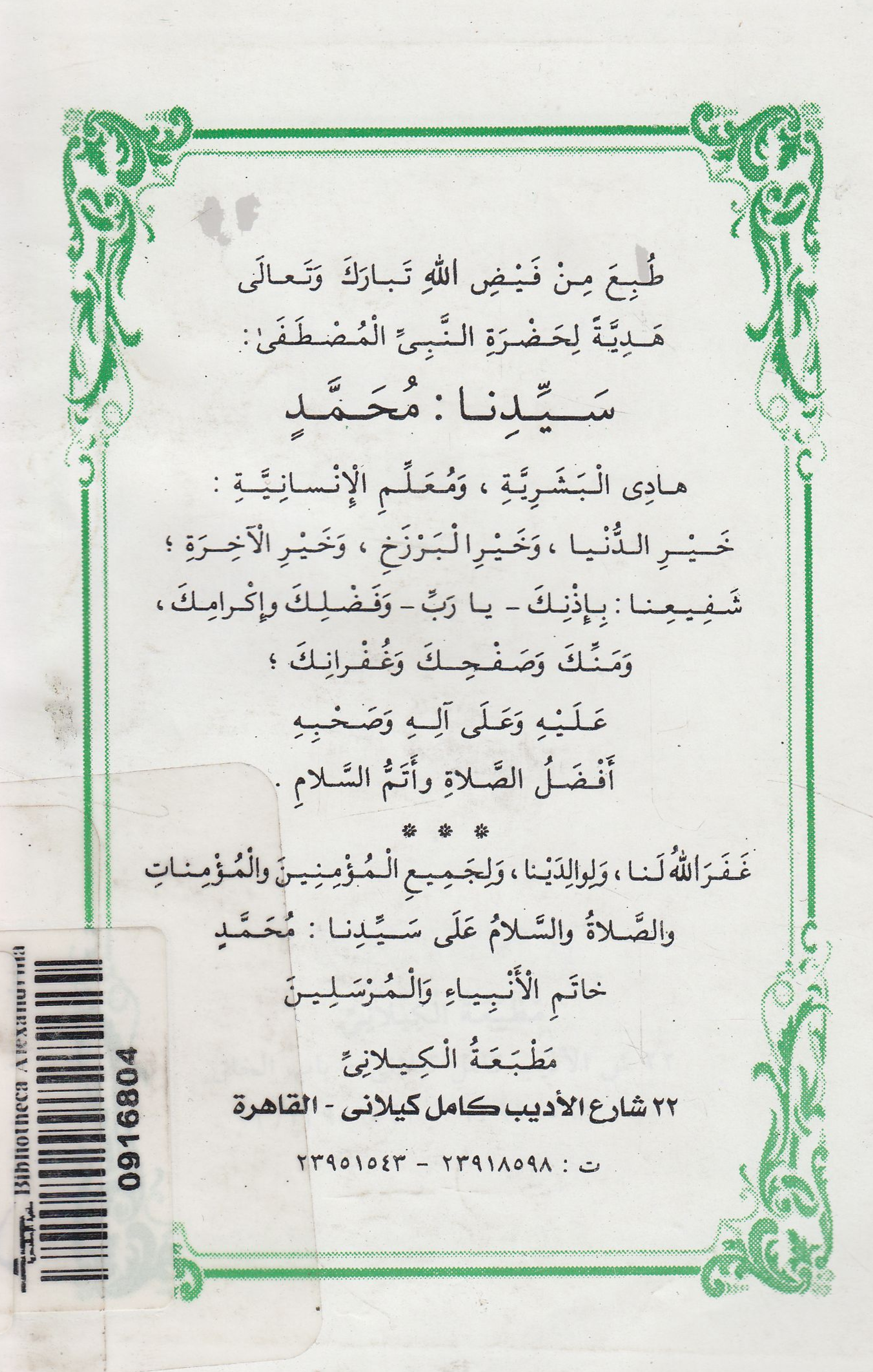
وَتابَعَ سُؤالَ أَهْلِ ٱلْبَصِيرَةِ، لَكانَ ذٰلِكَ يُوَصِّلُهُ إِلَى ٱلْحَقِّ، فَهٰذا وَأَمْثالُهُ مِنْ آفاتِ ٱلْعُجْبِ، فَلِذٰلِكَ كانَ مِنَ ٱلْمُهْلِكاتِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ آفاتِهِ أَنْ يَفْتُرَ فِي ٱلسَّعْيِ لِظَنِّهِ أَنَّهُ قَدْ فازَ، وَأَنَّهُ قَدِ ٱسْتَغْنَى وَهُوَ ٱلهلاكُ ٱلصَّرِيحُ ٱلَّذِي لا شُبْهَةَ فِيهِ. نَسْأَلُ ٱللَّهَ تَعالَى ٱلْعَظِيمَ حُسْنَ ٱلتَّوْفِيقِ لِطاعَتِهِ.

ﮓﮔﮓﮔ

الفهرس

مَطْبَعَةُ الْكِيلانِيِّ
٢٢ ش الأديب كامل كيلانى - باب الخلق
ت : ٢٣٩١٨٥٩٨ - ٠٢/٢٣٩٥١٥٤٣



طُبِعَ مِنْ فَيْضِ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالَى
هَدِيَّةً لِحَضْرَةِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى :

سَيِّدِنا : مُحَمَّدٍ

هادِى الْبَشَرِيَّةِ ، وَمُعَلِّمِ الإِنْسانِيَّةِ :
خَيْرِ الدُّنْيا ، وَخَيْرِ الْبَرْزَخِ ، وَخَيْرِ الآخِرَةِ ؛
شَفِيعِنا : بِإِذْنِكَ - يا رَبِّ - وَفَضْلِكَ وإِكْرامِكَ ،
وَمَنِّكَ وَصَفْحِكَ وَغُفْرانِكَ ؛
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَفْضَلُ الصَّلاةِ وأَتَمُّ السَّلامِ .

* * *

غَفَرَ اللهُ لَنا ، وَلِوالِدَيْنا ، وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِناتِ
والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنا : مُحَمَّدٍ
خاتَمِ الأَنْبِياءِ وَالْمُرْسَلِينَ

مَطْبَعَةُ الْكِيلانِيِّ
٢٢ شارع الأديب كامل كيلانى - القاهرة
ت : ٢٣٩١٨٥٩٨ - ٢٣٩٥١٥٤٣